
الرسالة

6me Année, No. 257

Lundi - 6 - 6 - 1938

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العــدد ٢٥٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٧ ربيع الثانى سنة ١٣٥٧ — ٦ يونية سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهــرس

صفحة
٩٢١ سحر الصحراء ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ...
٩٢٤ بين الشرق والغرب .. : الأستاذ فليكس فارس ... ...
٩٢٧ فلسفة التربية ... ... : الاستاذ محمد حسن ظاظا ...
٩٢٩ محمد إقبال... ... ... : الدكتور عبد الوهاب عزام ...
٩٣٢ مجبز ومجبور ... ... : لأستاذ جايل ... ...
٩٣٣ بين الرافعى والعقاد ... : الأستاذ محمود محمد شاكر ...
٩٣٦ بين العقاد والرافعي ... : الأستاذ سيد قطب ... ...
٩٣٩ كلمة على الهامش ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ... ...
٩٤١ ليلي المريضة فى العراق ... : الدكتور زكي مبارك ... ...
٩٤٤ ابراهام لنكولن ... ... : الأستاذ محمود الخفيف ... ...
٩٤٧ الأنباط وأطلال بترا الخالدة : الاستاذ خليل جمعة الطوال ...
٩٥٠ فرنتس شوبرت ... ... : الأستاذ محمد كامل حجاج ...
٩٥٢ حين أطرقت ملهمتى (قصيدة) : الأستاذ محمود حسن اسماعيل
٩٥٣ مداعبة صديق ... ... : الأستاذ محمود غنيم ... ...
٩٥٤ مجمع أدبي مصرى — الأدب العربى فى مصر منذ الفتح الاسلامى — وسائل مكافحة الأمية بين طبقات الشعب ... ...
٩٥٥ مشروع إعداد المعلمين لمدارس التعليم غير الأولى — حول الرمزية — بين الرافعى والعقاد ... ...
٩٥٦ تجميل وزارة المعارف وتشجيع رجال الفن — منحة المجلس البريطانى لخمسة من طلبة الآداب — بين الرافعى والعقاد ...
٩٥٧ وفاة عالم بريطانى ... ...
٩٥٨ كيفما اتفق (كتاب) ... : للأديب نصرى عطا الله سوس
٩٦٠ يونا أنطون (كتاب) ... : للآنسة وداد سكاكيني ...

ســــحر الصحراء

للأستاذ عباس محمود العقاد

السحر هو أن يختار الإنسان الشيء وهو مرغم على اختياره، فهو مزيج من حكم الإرادة ومن حكم القضاء

ليس بسحر أن نختار الشيء ونحن قادرون على تركه

وليس بسحر أن نرغم عليه ولا رغبة لنا فيه

إنما السحر أن نرغب فى الشيء حتى نحاول أن نكف عن الرغبة فيه فنعلم يومئذ أننا غير أحرار، وأننا مسحورون أو مأخوذون

وإنما السحر أن نحسب أننا مكرهون على ذلك الشيء وأننا نضجر منه ونتململ ونفرح بالخلاص، حتى إذا أوشكنا أن نخلص منه علمنا أننا نكره الخلاص كما نكره البقاء

وحيثما وجد السحر وجدت الحيرة فى أمره. فإذا فتن الرجل بالمرأة وحار الناس سائلين: والله ما ندرى ما يفتنه منها فذلك هو السحر

وإذا أقدم الرجل على الخطأ وهو يعلم أنه خطأ ويعلم أنه مدفوع إليه غير مختار فى الرجوع عنه، حائر فيما يدفعه إليه كما يحار من حوله في سر اندفاعه، فذلك هو السحر

وقوة السحر أنه هو قوة الإنسان وقوة القضاء مجتمعتين ، متحدتين ، سائرتين فى طريق واحد . فاذا تنازعتا فذلك هو ابتداء الخلاص منه أو ابتداء بطلانه وانحساره ، ولو كان لا ينحسر إلا بهلاك المسحور

* * *

كذلك سحر الصحراء

تسأل لماذا يسكنها أبناؤها ؟ وتسأل لماذا يألفونها وهى جرداء خاوية تلهبهم قيظاً فى الصيف وتجمدهم قرة فى الشتاء ، وتظمئهم وتجيعهم إذا امتنع الغيث وهو كثير الامتناع مجهول المواعيد مكذوب الوعود ؟

والصحراء — بعد — ساحرة لأنك تسأل هذا السؤال ؛ فلو أنك استغنيت عن سؤاله وعلمت سبب هيام البدوى بقفاره وجباله لما كان ثمت سحر ولا ساحر ، ولا باطن للأمر غير ما فيه من ظاهر ، بل هو شىء يجرى فى مجراه ، ولا يلتبس عليك أصله ومنزاه

لماذا يشرب الماء ويأكل الثمر ويستجيد الهواء حيث يجود ، وينعم بالصيف والشتاء حيث تتهيأ فيهما النعمة ، ويفعل ما ينبغى أن يفعل ، ويسأل وهو لا ينبغى أن يسأل

لماذا ؟ أتسأل لماذا ؟ إن هـذا لهو العجب الذى يحوجنا إلى استفسار ، وليس هو هيام البدوى بالصحراء حين تكون على ما نهواه نحن ويهواه كل إنسان

* * *

عرفت الصحراء منذ الطفولة ؛ وأحسبنى ورثت عرفانها فى دماء الآباء والجدود ؛ وقاربت حدودها وشارفت أعاجيبها وهى مما يظهر على حافتها فى بعض الأحايين

فعند ضاحية أسوان خيام يسكنها بعض البجاة ، وكان على الجانب الشرقى منها بناء مسوَّر فى وسطه فضاء فسيح ، وفى وسط الفضاء خيمة يأوى إليها صاحبها ولا يأوى إلى ما بنى من حجارة وحجرات ، ونحن نحسب أن الإنسان لا يأوى إلى الخيمة إلا لقلة البناء . فها هو ذا رجل يؤثر الخيمة والبناء فى وسعه وعلى مقربة منه : هنا بدأت فى العجب فى أمر للصحراء ونقائض أبناء الصحراء . ثم قرأت أن للصحراء سحراً فحسبت أننى وقعت على السبب وأبطلت العجب ، ولم أدر يومئذ أن كلمة « السحر » إنما هى تلخيص الأعاجيب التى لا نفقه أسبابها ، وليست هى بتفسيرها ولا بالدليل على إدراكها وتعليلها ، ومضيت من ثم فى سؤال الصحراء عن مفتاح سرها ، وفى علاج الباب الذى أنكره ابن من أبناء الصحراء حيث قال :

ما إن سمت ولا أرانى سامماً   أبداً بصحراء عليها باب !

وكل صحراء عليها باب ، وعلى بابها مفتاح ، وهذا هو المفتاح الذى بحثت عنه فاهتديت بعض الهداية ، ونفذت إلى بعض الاغلاق

* * *

كل صحراء عاش فيها الرعاة فإنما كان إجدابها على التدريج بعد أزمان طوال تبدلت فيها طبيعة الأرض والجو ، فندرت الأمطار بعد كثرة ، ويبست المروج بعد نضرة ، وقلت الأرزاق بعد وفرة ، ثم أجدبت بعد ذلك إلا من قليل زرع هنا وقليل ماء هناك ، وأهلها مع هذا قادرون على تعويض ما فقدوه بالاغارة على جيرانهم من سكان الحواضر وأصحاب الأنهار والمزارع ، حتى تأصلت عادة المعيشة ، وتمكنت طبيعة الترحل ، واستقامت البنية على هـذه العادات والطبائع فجاءت ضرورة الانتقال بعد استقامة الطبيعة على هـذه الأحوال ، وفعل سحر الوراثة فعله غير مفطون إليه ولا مقدور على منعه ، فكان منه ذلك القيد الذى يربط صاحبه فى مكانه برضاه وهواه ، ويلوح للناظرين كأنما يربطه هنالك على غير رضاه ولا هواه

وتنازع أبناء الصحراء حين قلت خيراتها فغلب الأقوياء منهم ضعفاءهم على جانب الخصب والرى والرخاء ، وتراجع الآخرون إلى جانب القفر كارهين حتى ألفوه طائعين ، فذلك مع الوراثة هو السحر الذى يمتزج فيه الاكراه بالاختيار

* * *

على أن الوراثة — أو الألفة — عقدة واحدة من عقد السحر الكثيرة فى كل صحراء ، ولا سيما الصحراء التى هى أوفى إلى الجدب والخلاء ، فمن عقدها ما يشبه التنويم المغناطيسى ، ومن عقدها ما يشبه الخمر ، ومن عقدها مايشبه الشعوذة ولعب الحواة ؛ وهذه عقد قلما يجمعها سحر واحـد فى نسق ، فاذا اجتمعت فأخلق بفعلها أن يطغى على صواب العقول

* * *

ينام الانسان النوم المعروف بالمغناطيسي إذا أثار نظره إلى الشيء الواحد لا يتحول الشيء عن مكانه ولا هو يتحول عنه بنظره . وتنقضي هنيهات على ذلك فيخدر الحس وتشتمل عليه حالة من حالات الغيبوبة ، وتنقاد الواعية لذلك الذي نومها هذا التنويم انقياد المعبود للعابد أو المفتون للفاتن ، ملكها وملأها فلا مشيئة لها معه ولا فراغ لها من وحيه وسلطانه

فماذا تصنع الصحراء بالذي يدمن النظر اليها إلا أن تنومه هذا التنويم وتشمله بمثل تلك الفتنة وتقوده بمثل ذلك القياد !

انه لينظر إلى مائة شيء فيها فاذا هو ينظر إلى شيء واحد لتشابه المناظر وتقارب الألوان والهيئات ؛ وإنه لينتقل ميلا بعد ميل وساعة بعد ساعة وكأنه قائم في موضعه لا يتزحزح منه قيد خطوة ، لأن العبرة بما يقع فى الواعية لا بما تقع عليه الأقدام ، وان النائم لينام بعد هنيهات قليلة فكيف يكون الحال بمن تنقضي عليه فى تلك النظرة أعوام ، ومن تنقضي على آبائه وأجداده فى تعاقب تلك الفتنة أجيال ؟ ؟

تلك هى العقدة المغناطيسية فى سحر الصحراء

أما عقدتها التى تشبه الخمر فما هى الخمر إن لم تكن نشوة الطلاقة وعزة الافلات من القيود ، وتوهم القدرة على كل مطلب فى غير حذر من رادع ولا مبالاة بملام ؟

تلك الطلاقة هى سكرة الآفاق الواسعة أو سكرة الصحراء التى لا تقوم فيها الحواجز ، ولا تصطدم فيها الحدود ، ولا يشعر فيها المرء بين الأرض المديدة والسماء الرفيعة بطغيان مخلوق أو خضوع متهور

ثم شعوذة الحواة وحسبك منها السراب ! !

مضينا فيها بالسيارة من الضحى إلى الغروب ثماني ساعات بين مرسى مطروح وسيوة فلم يغب قط عن أبصارنا منظر هذا السراب يعلو ويهبط ، ويبدو ويختفي ، ويتراءى حتى لا شك فى فى صدقه ، ويتوارى حتى لاشك في كذبه وزوره

السراب السراب ! ! ما أشبه الحقيقة فيه بالكذاب ، وما أولاه منا بالعجب العجاب !

لقد عدنا وعلى الأفق غاشية من سحاب رقيق فلم نر سرابا فى طول الطريق

فقلنا لبعض أصحابنا فى السفر : أرأيت كيف يكون النور سبيل الضلال فى بعض الأحايين ؟ ترجم هذا لأعداء الحديث من الشعر وقل لهم : ان الذى يتحدث عن « ضلال النور » لا يتحدث بالأحاجى والألغاز ، ولا يقول إلا ما تبصره العين فكيف بالضمير وكيف بالخيال ؟ وقل لهم إنهم لا يفهمون الصحراء وهم يعيشون منها بين ذكريات النوق والوهاد ، وأساطير الأفراس والجياد . وقل لهم بالايجاز انهم لا يفهمون !

سراب الصحراء ، هذه الشعوذة البارعة

وخمر الصحراء ، هذه الشمشمة الصارعة

وغيبوبة الصحراء ، هذه المنومة الفارعة

وعراقة الصحراء هذه القديمة فى الآباء ، القديمة فى الآماد والأجواء ، القديمة فى العروق والدماء

ذلك هو سحر الصحراء !

عباس محمود العقاد

بين الشرق والغــــرب

للأستاذ فليكس فارس

« إذا لم تكن لنا قدرة على خلق حضارة شرقية فلنفعل على الأقل ما فعلت تركيا وتنخرط بكل بساطة فى سلك الأمم الأوربية »

« توفيق الحكيم »

هذه كلمة جمعت خلاصة المقال الذى نشره فى الأهرام تحت عنوان « هل يوجد اليوم شرق ؟ » كاتب مفكر له ثقافته الواسعة وعلمه العميق . وقد أعجبت بالمقال وما يعرض من الاعتبارات على المفكرين وشكرت لكاتبه صراحتــه ودعوته إلى الصراحة فى موقف يتحتم فيه على الشرق العربى أن يختط له سبيلاً سوياً فى ثقافته وحضارته

إن الأستاذ توفيق الحكيم لا يجهل أننا إذا عجزنا عن خلق الحضارة الشرقية وعن إحيائها بتعبير أصح فإن انخراطنا فى سلك الأمم الأوربية لا يوصلنا إلى الهدف الذى تتجه إليه الأمة التركية ولما تصل إليه . فإن بين الفطرة التركية والفطرة العربية من الفروق مالا يصح معه أن يتخذ العرب الترك قدوة . لذلك ، لا أحسبنى مخطئاً إذا ذهبت إلى أن الأستاذ الحكيم لم يخيِّر العرب بين حضارتين ، إلا ليثبت لهم أن فى أعماق قلوبهم شرقاً لا حياة لهم إلا بالاتجاه إليه واستجلائه وراء ظلمات الأحقاب

* * *

كنت أخذت القلم لأجول جولة بين نظريات الرومى والمصرى اللذين دفعهما الأستاذ الحكيم إلى حوار خطير بين الشرق والغرب ، ولكننى تذكرت أننى كنت ناظرت صديقى الدكتور اسماعيل أدهم منذ أشهر فى حفلة حافلة فى جمعية الشبان المسيحيين فى الاسكندرية وكانت الوجهة الإيجابية من الموضوع « من الخير لمصر أن تأخذ بالحضارة الغربية » فرأيت أن آخذ من ردى على المناظر ماله صلة وثيقة بالمسألة التى أثارها مؤخراً الأستاذ الحكيم

* * *

بدأت فى الرد بالتفريق بين الثقافة والعلم ، فقلت إن العلم مشاع لكل الأمم ولكل الأفراد فهم يتفقون فيه على ما بينهم من اختلاف بعيد فى نظريات الحياة فى حين أن الثقافة مستقرة فى الشعور فهى (دماغ فى قلب) ولا قانون لها لأنها راسخة فى الفطرة ، والفطرة فى الفرد كما هي فى الأمم ميزة خاصة في الذوق واستعداد خاص لفهم الحياة والتمتع بها . فإذا كان العقل رائداً لبلوغ الحاجة ، فليست الفطرة إلا القوة الممتعة للإنسان بتلك الحاجة بعد الظفر بها ؛ وكما أن لكل فرد ثقافته التى تتجلى فطرته فيها ، هكذا لكل أمة ثقافتها المستقرة فى فطرتها . فلا ريب إذاً فى أن سعادة الفرد والمجموع وشقاء كل منهما يتوقفان على ملاءمة الحياة أو عدم ملاءمتها لما فطرا عليه . وسواء أكان المرء مخيراً أم مسيراً فى إرادته وأعماله فإنه على الحالين غير مخير فى ذوقه فى الحياة وفى لذته وألمه منها . فكل فرد خالفت طريقة حياته ما استقر من الحوافز فى فطرته يفقد الشعور التام بتلك الحياة ويتعرض للسقوط فى المعترك . وهكذا الأمم إذا خدعت نفسها وسارت فى حياتها على ما يؤلم فطرتها فانها تفقد قوة الارتقاء بذاتها فتميت شخصيتها دون أن تتدفق إلى الانبعاث فى شخصية تستعيرها من سواها

وبعد أن وضعت هذا الحد بين الثقافة والعلم توجهت إلى تحليل عناصر الحضارة فى الشعوب فقلت إن الخلاف الذي ينشأ بين باحثى مسألة الشرق والغرب إنما ينشأ من عدم التفريق بين المدنية الآلية وبين المدنية الأدبية . فعند مايقوم أنصار الاتجاه إلى مدنية الغرب بدعوة عامة إلى « التفرنج » يثور عليهم أنصار الحضارة العربية مسفهين رأيهم داعين إلى مقاومة هذه الحضارة على وجه التعميم أيضاً . وهكذا يقع الفريقان فى خطأ ، لأن كلا منهما يؤاخذ الآخر بتطرف يرتكبه هو . ولو أنهما ميزا بين الحضارة الآلية المبنية على العلم وبين الحضارة الأدبية المبنية على الفطرة التى كونتها السلالة والاقليم وتسلسل حوادث التاريخ لتوصلا إلى حل الخلاف !

* * *

بعد أن مهدت للرد على مناظرى بهذه المقدمة وفصلت فيها فصلا تاماً بين الحضارة الآلية والحضارة الذهنية ، تناولت نظرياته متتالية واتجهت إلى تفنيدها . وهذه خلاصة من الرد أعرضها لبحث من يقدرون خطورة هذه المسألة

* * *

بعد هذه المقدمة التى حددت فيها الثقافة ووضحت بينهما وبين العلم الوضعى ما أراه من فروق لا إخال مناظرى معترضاً عليها أتناول بحثه فى موضوع المناظرة سائراً معه خطوة لخطوة على السبيل الذى أدى به إلى الاعتقاد بأفضلية الثقافة الغربية على الثقافة الشرقية العربية

وأول عبارة أراه يذهب منها إلى الاختلاف معى هى قوله :

إن للشرق روحه الذى يستوحيه أبناؤه نزولا على فطرتهم، وللغرب منطقه الذى يستنير به أفراده نزولا على وحى مشاعرهم »

فمناظرى إذاً يبدأ بحصر المنطق فى الغرب منكراً على مصر وسائر الأقطار العربية أساس العلم ، والعلم كما سبق أن أوضحت فى تحديده تجاه الثقافة ، إنما هو مشاع بين كل ؛ الأمم وما اخترع الغرب المنطق ولا هو أوجد التفكير العلمى لنعترف له بثقافة قوامها التفكير ينفرد بها بين ما على الأرض من شعوب

ثم يجيء مناظرى بعد ذلك إلى تحديد الثقافة المصرية فيقول: إن الحياة العملية التى يحياها المصرى الآن تجرى على غرار ما كان يحياه أسلافه الفراعنة

وأنا لا أرى فى حياة المصريين اليوم أثراً من الحضارة الفرعونية، لا فى الحياة العملية ولا فى الحياة الأدبية ، كما لا أرى شيئاً من حضارة الفينيقيين فى حضارة أهل سوريا ولبنان ، وما تبقى من هذه الحضارات المستغرقة فى القدم إلا أهرام ومعابد وأعمدة وقصور وقبور

ولكننى لا أجد بداً من الاعتراف ببقاء رواسم للفطرة القديمة فى سرائر أبناء هذا المصر على ضفتى البحر الأبيض يتجلى فيها كثير من الصفات النفسية والجسمية التى اتصف بها أجدادهم الأقدمون

غير أن الثقافة التى يدور البحث عليها فى هذه المناظرة إنما هى العوامل التى تتوحد فى أى مجتمع ، وتتماثل فى سريرة كل فرد من ذلك المجتمع ؛ وهذه العوامل هى التى تقوم عليها الحضارات المختلفة بين الشعوب . ولا أرى داعياً للسير إلى أبعد من هذا التحديد بعد أن رأيت مناظرى الكريم يأخذ بمثله ويقف فى بحثه عند الثقافة الشرقية العربية دون تناول ثقافة الشرق الأقصى، فهو إنما يقصد الثقافة السامية العربية عند ما يقول بوجوب تلقيح « الذهنية » المصرية بثقافة غربية تبعث فيها النشاط وتدفع بالأمة إلى الحياة

أما السبب الذى يراه المناظر موجباً لهذا الانحراف إلى ثقافة الغرب فقائم على اعتقاده بأن الثقافة العربية ذاتية تدفع بالانسان إلى الذهاب مع الخيال ، فردية تذهب بالفرد إلى الانعزال عن المجتمع، فى أنه حين يرى ثقافة الغرب أو «ذهنيته» تستجلى حقائق الحياة بالتفكير الفلسفى والبحث العلمى

وهنا نقطة الخلاف فى بحثنا

إن مناظرى يقول بكل جلاء إن المدنية الغربية مستمدة من الثقافة الآرية العلميـة ، فى حين أن الشرق العربى يتوه ذاهباً وراء خياله

إذا صحت هذه المقدمة فللمناظر ملء الحق بدعوة مصر إلى الانسلاخ عن شرقيتها وعروبتها للأخذ بالعبقرية الآرية التى يراها مبعث العلم الصحيح ومنشأ التفكير النير المصيب ، ولكن الأمر ليس كذلك ، وإليكم البرهان أسنده أولا إلى حقيقة نطق بها مناظرى وأغفل الاسترشاد بها ؛ فهو يقول إن عصرنا عصر العلم، ولقد بدأ ذلك العصر بثورة نفر من رجال القرن السادس عشر على العقلية القديمة التى تبحث عن علل الأشياء الأولى فسبروا سنن الطبيعة وأقاموا عليها المدنية الغربية مستمدة من الذهنية الآرية

إذاً إن أصحابنا الآريين كانوا يغطون فى نومهم، ولم تزل تراود أحلامهم الآلهة التى خلقتها عقلية التعاون فيهم فبلغ عدد هؤلاء الآلهة الثمانية آلاف فى الأساطير التى يراها المناظر غنية بالرموز والفن ، وما هى فى نظر الشرق العربي إلا دلالة فقر مدقع فى التفكير وجوح فى خيال لم يدرك شيئاً من الوحدة التى تقوم حقائق الأشياء عليها

وفى هذه الأثناء كانت الحضارة العربية تحتضن العلوم القديمة وهى ممثلة بأرسطو فى الاستقراء، وبأفلاطون في القياسات العقلية. وما كانت هذه العلوم فى ذلك العصر إلا فى طور التدرج الأولى فاستولى عليها التفكير العربى لا ليدفعها إلى الارتقاء فحسب بل ليستنبط ويعدّل ويوجد . ومما يجدر ذكره هو أن العرب حين اقتبسوا من تراث اليونان ما يعززون به تفكيرهم العلمى لم تستهوهم الثقافة اليونانية ولا حضارتهم الأدبية إذ أحسوا بما بين الحضارة التى كانت تتمخض فى شعورهم وتقديرهم للحياة

وبين حضارة اليونان الاجتماعية من مهاو سحيقة فأعرضوا عن شعرهم وموسيقاهم ونظم اجتماعهم ؛ لذلك لا تجد فى شعر العرب شيئاً من إبهام بيندار وأوربيد وهوميروس ، وهذا الأخير بقى مجهولا حتى ترجمه البستانى فى أوائل هذا القرن

فقد بز العرب من تقدمهم فى علوم الآلات وتوازن السوائل ونظريات الضوء والابصار والهندسة وعلم الهيئة فوضعوا علم الكيمياء واكتشفوا أجهزة للتقطير وأوجدوا الأسطرلاب ووضعوا جداول الأوزان النوعية والأزياج الفلكية ؛ وهم واضعوا علم الجبر والأرقام . وما كاد ينقضى القرن الثامن الميلادى حتى كان هرون الرشيد يسير شوطاً بعيداً فى مضمار الرقى ليسلم إلى المأمون سنة ٨١٣ المدينة التى أصبحت عاصمة العلم الكبرى فى فى ذلك الزمان .

ويذكر التاريخ أن هرون الرشيد كان أرسل إلى شارلمان ساعة تدل على الزمان بحركة من الشريط المربوط فأفزعت حركتها هذا الملك حتى أمر بكسرها .

أنعيد إلى الذكر ما أحيا من العلوم الفلسفية والعملية العباسيون فى آسيا والفاطميون فى مصر والأمويون في اسبانيا ؟

أبعد هذا يصح لقائل أن يقول ان رسالة الشرق روح وشعور فقط وان رسالة الغرب عقل ومنطق ؟

إن مناظرى قد ضيق عدسة منظاره وحدق على مجال من الزمان لا يزيد على قرن ونصف قرن متطلعاً إلى الرقى العلمى فى طوره الأخير ، فخيل له أن الغرب قد أوجد وأبدع وأكمل بعقليته الآرية ، ثم التفت إلى الشرق العربي وهو خارج محطما من عبودية نيف وأربعة قرون ، فحسب ان السامية العربية هى ما لمحه من عدسة منظاره .

ولقد شاء المناظر الكريم أن يقدم برهاناً على ان الحياة تقوم فى العالم كله على أساس غربى ومنطق غربى فقال : ان هناك تجربة نجحت إذ كانت الدولة العثمانية تمتد حتى الدانوب وتعيش على غرار شرقى فكانت منبعاً للفساد فى العالم ، فلما استقطعت عنها المجر ورومانيا والبلغار واليونان واليوغوسلاف فأخذوا بمدنية الغرب تقدموا ...

ونحن نجيب على هذا موافقين المناظر على قوله فان الدولة العثمانية التى « عاشت على غرار شرقى » إنما كانت آرية فى روحها وما تسنى لها طوال حكمها الذى سحب أذياله قروناً أن تدغم فيها العنصر العربى السامى أو تندغم فيه فارتفعت عليه ولم تتمكن من الارتفاع به بالرغم من اعتناقها دينه المبين ...

وليت الدولة العثمانية بعد أن بنت سلطانها على السطوة عرفت أن تحتفظ به بالعمل على ترقية الشعوب المستظلة بعلمها . ليتها لم تكتف بالمظاهر معرضة عن الصفات العليا التى أثار الخلفاء الأقدمون بها وجه الأرض وأقاموا عليها أروع حضارة عرفها التاريخ ؛ إذن لما كانت الشعوب التى ذكرها المناظر لتتنفس الصعداء بزوال كابوس الدولة العثمانية عنها ، وما كان اليونان والبلغار وسواهم مرهقين متقهقرين لاتخاذهم الثقافة العربية فانهم ما عرفوها وما عملوا بها بل كان موقفهم شبيهاً بموقف بلاد العرب تجاه دولة بينها وبين العدد الأوفر من رعاياها مهاو وأغوار . تلك حقائق لم تخف على الداهية أتاتورك فانه عرف ما هى فطرة الشعب التركي وما هى الحالة الاجتماعية التى تتفق وما كمن فى حوافزه . ويعلم المفكرون ما رمى إليه هذا المصلح لدولته من إضعاف كل عنصر لا يجارى روحها حتى أنه ناصب العداء الحروف والألفاظ العربية التى كانت اللغة التركية فى عراك مستمر معها

أما ما يقوله المناظر عن أن اليابان نهضت بالمدنية الغربية بعد أن أعرضت عن منطق الحياة الشرقية ، ففيه حقيقة كبرى تقوم برهاناً على خطأ نظريته . فان اليابان لم تزل متمسكة بثقافتها كل التمسك وفى ذلك سر ارتقائها ، فهى لم تأخذ من الغرب إلا الآله والآله فقط ، وما الآله إلا نتاج العلم العملى الوضعى الذى رافق الانسانية منذ اكتشف أول مكتشف شرارة النار في كهفه واتخذ فى الصوان فى العصر الحجرى أوائل الآلات للحرث والقطع ، وقد مرّ العلم على أدمغة جميع الشعوب على ممر الأجيال فليس للهندسة والكيمياء وعلوم الاحياء وسواها أى طابع قومى . ولو كان يصح أن تسند هذه العلوم إلى قوم دون سواهم لكان لنا أن نطالب بأن يطبع على كل آلة وجهاز إسم علم من أعلام العرب ، إذ لولاهم لما كانت الحلقة الكبرى التى وصلت بين سلسلتى الماضى والحاضر ، ولكانت أوربا لم تزل أوروبا القبائل الغارقة فى بحر الظلمات

البقية فى العدد القادم

فليكس فارس

فلسفة التربية

تطبيقات على التربية فى مصر

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ١٩ —

« ... وثقافة الانسان لا تقدر بمقدار ما قرأ من الكتب وما تعلم من العلوم والآداب ، ولكن بمقدار ما أفاده العلم ، وبمقدار علو المستوى الذى يشرف منه على العالم ، وبمقدار ما أوحت إليه الفنون من سمو فى الشعور وتذوق للجمال ! »

« أحمد أمين »

« للرجل المثقف جسم خاضع لارادته ، وعقل صاف متئد القوى سهل العمل ملىء بما فى الطبيعة من حق عظيم وقوانين كلية ، هذا إلى امتلاء بالحياة المنسجمة الخادمة لضميره الحى ، وإلى حب للجمال وكره للقبح ، وإلى احترام للنفس وللناس ، وإلى وفاق تام مع الطبيعة يفيدها فيه ويستفيد منها ، ويسير معها كوزيرها أو ترجمانها وهى كأمه الحنون ! » (١)

« هكسلى »

٩ — خريج اليوم

عرضت عليك فى المقال السابق صورة لعقلية خريج اليوم وما فيها من ضيق ونقص وجمود والتواء . وأحب اليوم أن أعرض عليك صورة أخرى لعاطفته بنواحيها الدينية والذوقية والخلقية لتتبين أنها مشوبة كذلك بألوان كثيرة من الشذوذ والانحراف

١ — العاطفة

وأحسب أنك تعلم جدارة العاطفة فى حياة الإنسان ، وأنها تلى « العقل » مباشرة فى الخطورة والأهمية ، وأن الحياة بدونها صحراء لا ماء فيها ولا شجر ؛ ولذلك نراهم يحرصون فى الغرب على صقلها وتهذيبها وتهيئتها لأن تكون خير سند للعقل السليم والخلق القويم والذوق الجميل ، وخير معين يروى ظمأ الحياة ويسمو بها فوق الأدران والشهوات ، ويجعل نصيبها من الإنسانية الرفيعة موفور القدر عظيم الدرجات ! . فهيا إذاً نتحسس أثر « العاطفة » فى خريجينا لنرى إلى أى حد قد نجحت مدارسنا فى تكوين هذه الناحية الخطيرة من نواحى التربية والتعليم

(ا) الدين

والدين كما تعلم من أقوى مظاهر العاطفة ، ومن أبعدها أثراً فى خلق الجماعة والفرد ، ومن أعظمها قدراً فى تقدم الأمم وتأخرها . ولذلك قد عنيت الحكومات بنشره وتلقينه ودراسته واهتمت بجعله جزءاً أساسياً فى برامج التعليم الدينى والمدنى كيما يخرج النشء متمسكاً بدينه عارفاً لربه عاملاً بفضائل الكتب الدينية وأوامرها . ولكنك حين تبحث عن هذه الناحية فى مدارسنا وخريجينا ترى عجباً . فالدين فى المدارس المدنية ضئيل القدر سطحى النظرة ، لا شأن له فى نجاح التلميذ أو رسوبه ، والفروض الدينية من صوم وصلاة وإحسان مهملة إلى حد بعيد مع خطورة أثرها فى حياة المتخرج الحاضرة والمستقبلة ؛ ولذلك لا تعجب إذا رأيت الكثيرين من أولئك المثقفين لا يعرفون صوماً ولا صلاة ولا زكاة ولا إحساناً ! ولا يدركون من دينهم إلا ألفاظاً وقشوراً ، ولا يحملون له من العاطفة إلا ما لا ينفع فى كثير ولا قليل . ولا تعجب كذلك إذا وجدت بين المصلين من يصلى دون أن تنهاه صلاته عن الفحشاء والمنكر ، ودون أن تصده عن الكذب والرياء والتملق والادعاء مما تزدحم به حياة الدواوين وغير الدواوين على السواء !. ثم لا تجزع بعد هذا إذا تلمست الصبر والثقة بالله والاتكال والاحتمال فى خريجينا دون أن تجد منها إلا أشباحاً متضائلة وصوراً متزايلة . وإذا تساءلت عن الزواج فسمعت من يقول لك ما ضرورته وما جدواه والأزمة شديدة والنساء كثيرات !! نعم لا تجزع يا عزيزى ولا تعجب فتلك جميعاً صدى لهذه التربية المدنية التى تغفل الدين وتهتم بالحشرات ... !

أما الدين فى المعاهد الدينية فأحسن حالاً وأقوم سبيلاً . ولكنك إذا شئت أن تتلمس فيه نقصاً فستجد وأسفاه شيئاً كثيراً ؛ ذلك أن خريج هذه المعاهد ما يزال مشوباً بضيق الأفق فى تفكيره وتعصبه ونظرته للحياة الحديثة إلى حد هو الجمود أو ما يشبه الجمود ! وما بالك بصديق لى منهم دعوته إلى رؤية قطعة من الأدب الحديث على مسرح الأوبرا أو مشهد من مشاهد التاريخ على الستار الفضى

(١) نرجو أن يعذرنا القراء فى تكرير هذين القولين لأنا نريد أن نجعل منهما مقياساً نقيس به الحالة الثقافية للمتخرجين فى مختلف المدارس والمعاهد . وأحسب أن البون شاسع جدا بين خريجينا وبين دلالة هذين القولين

فكان جوابه أن فى القرآن ما يغنيه عن رؤية كل ما فى دور التمثيل والسينما ؟؟ وما بالك بأئمة المساجد فى القرى يتلون على الناس خطباً منبرية لا يهبطون فيها إلى مستوى عقلهم إلا فيما شذ وندر ؟؟ وما بالك بتلك الروح روح التعصب (١) الدينى — ينفثها رجال الدين فى الصدور فتقيم بين أبناء الوطن الواحد حاجزاً من الكراهية وعدم الثقة والمقت والازدراء ؟ وأخيراً ما بالك بذلك الصدر الضيق لا يتسع للنقد ولا للاجتهاد ، وبتلك البدع الدينية الكثيرة التى ليست من الدين فى شىء ، وبهذه وبتلك مما تعرفه أنت وتعلم أنه يغضب الله والرسول ؟؟

تلك يا عزيزى نتيجة التعليم الدينى فى معاهدنا قد عرضتها عليك فى شىء من الجرأة والحياء فهلا ترى أنها نتيجة أليمة تحتاج إلى التعديل السريع ما دام الأمر لا يقتصر هنا على علاقة المرء بربه ، بل يمتد ويمتد إلى صلة الأفراد ببعضهم وإلى رقى الدولة وانحطاطها ؟؟

(ب) — الأخلاق المدنية

والأخلاق مظهر قوى للعاطفة ؛ فاذا هى فقدت منبعها الدينى فماذا يتبقى لها غير الضمير الشخصى والاجتماعى ؟؟ لنبحث إذاً فى أخلاق الخريجين الموظفين منهم وغير الموظفين فستجد كذلك عجبا . كم منهم من « يشعر بواجبه » شعورا حقيقيا وينطلق إلى أداء هذا الواجب بإخلاص تام وهمة عالية ؟؟ وكم منهم قد وضع لنفسه « مثلا أعلى » فهو يسعى لتحقيقه ، ويُصدر عنه فى جميع أفعاله ، ويتحمل الآلام فى سبيل الذود عنه ، ويعمل على نشره بين أهله وذويه متخذاً لنفسه فى حياته رسالة شريفة يحيا من أجلها ويموت ؟! الحق أنا مصابون فى هذه الناحية بأخبث الأمراض وأشنعها وأكثرها دمارا ووبالا . وحسبك أن تنظر فى قوائم الاهمال والتقصير ، والتزوير والتدليس ، والتلاعب والاختلاس ، والأقارب والأصهار ، حتى يقف شعر رأسك فزعا ورعبا من تلك الفوضى الخلقية التى تسيطر على رجالنا وتسير بسفينتهم إلى بحر الظلمات !! ألا يختلس المختلسون آلاف الجنيهات من مال الدولة الحرام ؟ ألا ينحط الخلاف السياسى إلى جرائم الافك والزور والكذب والاحتيال ؟ ألا تباع الضمائر والأقلام فى سوق المال يبع الأغنام ؟؟ ألا ترتفع الشكوى لأولى الشأن دون أن يسمع سامع أو يستجيب مستجيب ؟ ألا يتخذ الأجانب من بعض رجالنا سواعد لهم فى الحكومة والشعب على السواء ؟؟ ألا يصبح رجل الحق أحيانا كاليتيم فى مأدبة اللئام ؟؟ ألا يميل ميزان العدل مرارا فاذا العدل ظلم والظلم عدل ؟ أليس فى المعلمين والأطباء والمحامين وغيرهم من يؤدى عمله أداء ناقصا مشوها لا يعدل مطلقاً ما يتناول عليه من أجر ؟ أليس فى الموظفين من يكتم صوته ويطأطىء رأسه ويلوذ بالصمت الحقير إذا شعر أنه مهدد بمجرد النقل إلى بلد قريب فضلا عن الخصم أو الحرمان ؟؟ ثم ألا تذهب صيحات المصلحين عندنا كصرخة فى واد ؟ ألا يعف شيوخ رجالنا عن كل جديد يأتى من ناحية الشبان ؟ ألا تنمحى شخصيتنا المصرية فى رجال الثقافة المدنية محوا أليما ؟ ألا نقلد الغرب فى كل تافه حقير ؟ ألا نترك صناعاتنا المصرية تنتحر من أجل المظهر اللائق والبهرج المرذول ؟؟ ألا يصمت الثائر منا ويمحو شخصيته ويندمج فى التيار العام وكله يأس وعجز وأسى وقنوط ؟؟

ذلك طرف من خلق كثير من الخريجين فهل تراه يرضيك ؟ وإذا كان كل خريج زعيما للشعب فى دائرته فهل ترى للشعب زعماء صالحين (١) ؟؟ وحسبك اليوم ذلك وإلى اللقاء حيث أحدثك عن ناحية الذوق أيضا

« يتبع » **محمد حسنى ظاظا**

(١) المسلمون منهم والمسيحيون واليهود على السواء ، وأظن أنه قد آن الوقت الذى يجب أن نترك فيه أمر الدين لله وننظر للناس من حيث خلقهم وكفاءتهم فحسب

(١) قال شوقى بك : وإذا أصيب القوم فى أخلاقهم فأقم عليهم مأتما وعويلا

محمد إقبال

شاعر الإسلام وفيلسوفه

للدكتور عبد الوهاب عزام

بقية ما نشر في العدد الماضي

ومن كلامه في « نقش فرنك » وهو القسم الرابع من « پيام مشرق » :

جمعية الأقوام

يريد المرزءون أن يسنوا سنة جديدة ليمحوا آية الحرب من هذا المحفل العتيق

فما عرف قبل اليوم أن جماعة من سرّاق الأكفان ألفوا جماعة لتقسيم القبور

نيتشه

خفق قلبه لضعف عناصر الإنسان، وخلق فكره الحكيم صورة أحكم وأمتن ، فأثار بين الفرنج هياجاً بعد هياج : مجنون ولج مصانع الزجاج

إذا بغيت نغمة ففر منه، فليس في نايه إلا قصف الرعد . قد دفع مبضعه في قلب الغرب واحمرت يده من دم الصليب . هذا الذي بنى معبداً للصنم على قواعد الحرم ، قد آمن قلبه وكفر دماغه

جلال الدين الرومي وهيجل

كنت ليلة أحاول أن أحل عقد الحكيم الألماني . ذلك الذي خلع فكره على الأبدي كسوة الآني ، والذي أخجل العالم إذ ضاق عن سعة خياله . فلما نزلت في بحره صارت سفينة العقل طوفاناً، ثم سحرني النوم فأغمضت عيني عن الفاني والباقي ، وازداد شوق وقدة فتجلى لي وجه الشيخ الإلهي : الشمس التي أضاءت آفاق الشام والروم ، والذي وضع شعلته مصباح هدى في هذه الدنيا المظلمة ، الذي تنمو المعاني من كلماته كما تنمو شقائق النعمان

قال لي كيف تنام . استيقظ ، إنك تجرى سفينة في سراب . إنك تجتاز طريق الفسق بالعقل . إنك تبحث عن الشمس بمصباح

* * *

وأما أسرار خودى ورموز بن خودى : أي أسرار الذاتية ورموز اللاذاتية (أو أسرار الأنانية ورموز الإيثار) ، فهما المنظومتان اللتان شرح فيهما آراءه شرحاً مرتباً وجعل للبحث خطة واضحة

بين في الكتاب الأول قوة الذاتية وضرورتها في الحياة ، ودعا إليها : هذه الحياة جهاد مستمر ، والرجل الحي حقًّا هو الذي يوقظ كل قواه ، ويستخرج كل ما في فطرته ، ويتأهب بمواهبه وأدواته للجهاد . السكون موت ، والتقليد فناء ، والحركة حياة ، والاستقلال وجود ... الخ

وبين في رموز بن خودى كيف تلتئم هذه الفردية القوية الكاملة في الجماعة ، وكيف تقوى الجماعة وتضعف ، وكيف تصلح وتفسد ، وكيف تهتدى وتضل :

يشرح في أسرار الذاتية بعد المقدمة موضوعات منها :

أصل نظام العالم من الذاتية ، وتسلسل حياة أعيان الوجود موقوف على استحكام الذاتية

حياة الذاتية من تخليق المقاصد وتوليدها

الذاتية تستحكم من العشق والمحبة

« تضعف بالسؤال

« إذا استحكمت تسخر قوى العالم الظاهرة والخفية

نفى الذاتية من اختراع الأقوام المغلوبة ليضعفوا من طريق خفى أخلاق الأقوام الغالبة

أفلاطون الذي أثر في التصوف والآداب الإسلامية ذهب مذهب الخروفية ، والاحتراز من أفكاره واجب

ثم بين أن تربية الذاتية لها ثلاث مراحل : الأولى الطاعة ، والثانية ضبط النفس ، والثالثة النيابة الإلهية

في المقطوعات الثانية يتكلم في مثل هذه الموضوعات :

الأمة تظهر من اختلاط الأفراد ، وكمال تربيتها من النبوة .

أركان الأمة الاسلامية — الركن الأول التوحيد — اليأس والحزن والخوف أمهات الشرور ، والتوحيد يزيل هذه الأمراض الخبيثة . الركن الثاني الرسالة — المقصود من الرسالة المحمدية تأسيس الحرية والمساواة والاخوة بين بني آدم — الأمة المحمدية مؤسسة على التوحيد والرسالة فليس لها حدود مكانية . الأمة المحمدية ليس لها نهاية زمانية أيضاً — حياة الأمة تحتاج إلى مركز محسوس ، وهو للمسلمين البيت الحرام

خلاصة معنى الكتاب وتفسير سورة الاخلاص

وهذه أمثلة من أسرار خودى :

نهر الكنج وهملايا

قال نهر الكنج يوماً لجبل هملايا وهو يجري في سطحه : أيها المتوج بالبرد من فجر الخليقة والمنتطق بالأنهار الجارية ، جعلك الله نجي السماء، ولكن حرمك التبختر في العراء ، ماغناء الرقاد والرسوخ والرفعة ، وقد سلبت الحياة والحركة ؟ الحياة سعي دائم كالموج : وجوده حركته الدائمة . فلما سمع الجبل تعبير النهر أرسل أنفاسه بحراً من نار وقال : يامن اتخذت صفحة مرآتي وأكننت مئات من مثاله في صدري . هذا التبختر زينة الفناء ! من ذهب عن نفسه فقد حرم البقاء . قد غفلت عن مقامك وفخرت بزوالك ياوليد الفلك الرفيع ؛ إن خيراً منك الساحل الوضيع . قدمت نفسك قرباناً للمحيط ، ونثرت روحك لقاطع الطريق . كن في بستانك ورداً ولا تذهب وراء القاطف لتنشر عبيرك . إن الحياة أن تنمو في مكانك ، وأن تنشر العبير في بستانك

خلت القرون وأنا في طينتي ثابت القدم ، وتحسبني إلى الغاية لم أتقدم ؛ كلا قد عظمت حتى بلغت السماء ، واستراحت على سفحي الجوزاء . ضل وجودك في البحر الخضم . وصارت ذروتي مسجد الأنجم . عيني بأسرار الفلك بصيرة ، وأذني بطيرانه خبيرة . احترقت بنار السعي الدائم فجمعت في صدري الجواهر «في صدري حجارة ، وفي الحجارة النار ، وليس للماء إلى هذه النار سبيل » إن كنت قطرة فلا ترق نفسك بيدك ، بل جاهد اللجة وحارب اليم لحياتك . كن جوهراً لألاء ، يزيد جيد الحسناء ضياء ، أواسم بنفسك وأسرع المطار ، وكن سحاباً يرى البروق ويعطر البحار ، ليستجدي البحر إحسانك ويشكو ضيقه عن إنعامك ويرى نفسه أقل من موجة لديك ، ويرتمي على قدميك

قصة الطائر الذي أنهكه العطش

بلغ العطش من طائر جهده فاضطرب نفسه موجة من الدخان في صدره ، فأبصر في بستان شذرة من الماس الوضاء ، فخيل اليه العطش أنها ماء ، وخدعت الطائر المجهود هذه الشذرة المتلألئة كالشمس فتوهم الحجر الصلب ماء سائلا ، وغره من هذا الجوهر بريقه فضرب بمنقاره فلم تنقع غلته . قالت الماسة : أيها الطائر المسحور ! لشد ما ضربت بمنقار الغرور ! لست قطرة من الماء ، ولا مشربة للظماء ليست حياتي من أصل غيري . إن محاولة التقاطي جنون وغرور ، وغفلة عن الحياة الذاتية الظهور . إن مائي يكسر من الطير منقاره ، ويصدع من الانسان جوهر روحه . خاب أمل الطائر فأعرض عن هذه الشذرة الوضاءة ، وانقلب الأمل في صدره حسرات ، واستحالت أنيناً هذه النغمات . ثم بصر بقطرة من الطل على فنن من الورد تتلألأ كدمعة من عين البلبل ضياؤها أفناناً في وهج الشمس وهي من خوف الشمس في رعدة كوكب ولدته السماء فلبث لحة في نشوة الظهور والضياء ، وخدعته ألوان الأكمام والأزهار فلم يأخذ من الحياة نصيباً كدمعة العاشق العليل ، زانت الهدب لتسيل .

ويسرع الطائر إلى فنن الورد فيلتقط قطرة الندي

أيها المبتغي نجاة من الأعداء ! خبرني أجوهر أنت أم قطرة من ماء . ألم تر إلى الطائر حين أذاب العطش مهجته كيف وقي بحياة غيره حياته ؟ لم تكن القطرة في صلابة الجوهر ، ولكن كانت الماسة صلبة المكسر

فلا تغفل عن حفظ الذاتية لحة ، وكن قطعة ماس لا قطرة

كن ناضج الفطرة راسخاً كالجبال وتحمل بحاراً من السحاب المطال . وجد نفسك تقوى نفسك واستحل فضة بجمود زئبقك . أظهر نغمة الذاتية من أوتارها ، وتجل للناس بأسرارها

فى الكلام على الوقت

اسمع نكتة تضىء كالدر، لتعرف فرق ما بين العبد والحر: العبد ضال فى الليل والنهار، والزمان فى قلب الحر ضال. العبد ينسج من الأيام كفنه ويخيط الليل والنهار على نفسه، والحر يخلع نفسه من الطين ثم ينسج على الزمان محرابه المتين. العبد طائر فى شبكة الصباح والمساء، حرمت روحه لذة السبح فى الهواء وصدر الحر الهمام، قفص لطائر الأيام. فطرة العبد تحصيل الحاصل، وخواطره تكرار قاتل. مقامه من الجود واحد، وصوته بالليل والنهار راكد. والحر كل حين خلاق، يسكب نعمه مجددة فى الآفاق. فطرته لا تحتمل التكرار، وليست طريقة خلقة البركار. العبد فى سلاسل من أيامه، والقضاء والقدر ورد لسانه، وهمة الحر مثيرة على القضاء قصور يده الحادثات كما تشاء. الماضى والآتى ماثلان لديه، والآجل عاجل بين يديه ...

نضر الله عهداً كان سيف الزمان، حليف أيدينا على الحدثان، فبذرنا الدين فى أرض القلوب، ورفعنا الحجاب عن وجه الحق المحجوب ...

وحلت عقدة الدنيا أناملنا، ونضر وجه الأرض سجودنا، وشربنا الصهباء من دنّ الحق، ثم سرنا بنشوته بين الخلق. يامن أترعت كأسه الخمر المعتقة، وأذابت كأسه الصهباء المحرمة، وملأه الكبر والغرور، فعيّرنا بالفقر والمتربة. لقد كانت كأسنا كذلك زينة المحافل، يوم كنا وصدرنا بالقلب آهل، ونار من غبار أقدامنا عصر حديد، ينجلى بكل أمل بعيد، ورويت مزرعة الحق بدمائنا، وسعد عبّاد الحق ببلائنا، ودوى العالم بتكبيرنا، وعمرت كعبات من ترابنا. وأنزل الحق كلمة (اقرأ) فينا، ثم قسم رزقه بأيدينا. فإن يكن ذهب منا الخاتم والتاج، فلا تحقر ذلك الفقير المحتاج. إن نكن بزعمك مفسدين، وبالأفكار العتيقة مغرمين، فنحن لا نزال الأحرار أنصار التوحيد، قوامين على العالمين والله شهيد

فرغنا من غم اليوم والغد، وحالفنا الله الأحد، فنحن فى قلب الحق سر مكنون، ونحن ورثة محمد وموسى وهارون. لا يزال نورنا فى الشمس والقمر مصوناً، ولا يزال سحابنا بالبرق مشحوناً إن ذات المسلم مرآة الحق. وإن وجود المسلم من آيات الحق

***

هذه أمثلة قليلة من شعر إقبال، ولإقبال من الآراء والفكر والخيالات ما يستعصى على الحصر. ولكن يستطيع دارس شعره أن يقول إن أدبه يتناول العالم كله، وأن فلسفته تقوم على قواعد أبينها القوة — قوة الفرد وقوة الجماعة وقوة الأخلاق — والاستقلال الذى لا يعرف التقاليد، والحرية التى لا تضيقها قيود، والجمال فى الأنفس والآفاق

ومقصده الأعلى تهذيب الإنسان وخاصة المسلم، يشرح له من حقائق الحياة، ويبين له من مثل الفضيلة، ويكشف له عن أسرار الإسلام ومجد المسلمين الأولين حتى يملأه قوة وحماساً وأملاً وإقداماً، ثم يوجهه فى معترك الحياة إلى الغاية التى عندها شرف الدنيا والآخرة. وليس يتسع المقام لتفصيل الكلام فى فلسفة هذا الرجل العظيم وأدبه. وعسى أن أوفق إلى الإفاضة فى ذلك من بعد: « إن الذى يعرف إقبالاً يعرف مصيبة العالم الاسلامى والأدب البشرى بموته »

عبد الوهاب عزام

في اللغة

مجبر ومجبور

لأستاذ جليل

اطلعت عند أحد معارفي من الطُّرّاء[١] اللبنانيين في هذه (البحرة[٢]) على كراسة ظهرت منذ أسابيع لفاضل كان قد جاء إلى مصر قبل الحرب الكبرى — أعادها الله جذَعة[٣] — وكتب في مجلات القاهرة وجرائدها برهة، وهو الأستاذ (إدوار مرقص) من أعضاء المجمع العلمي العربي ومن المشهورين في برّ الشام. والكراسة هي في اللغة ونقد كلمات، وقد تصفحت صفحات منها، فوجدته يقول في إحداها: « يقولون إنه مجبور على كذا، والصحيح مجبر عليه أي مكره عليه، والفعل أجبر »

وإن قول القائلين: (إنه مجبور على كذا (لصحيح، والتغليط غالط، فجبر مثل أجبر، وكان ابن قتيبة قال في كتابه (أدب الكتّاب): « ويجيء أفعلت مخالفة لفعلت نحو أجبرت فلاناً على الأمر وجبرت العظم » فقال البطليوسي في (الاقتضاب في شرح أدب الكتاب): « قد حكى أبو إسحق الزجاج وغيره جبرت الرجل على الأمر وأجبرته إذا أكرهته عليه، ومنه قيل للفرقة التي تقول بالاجبار: جبرية[٤]، وجبرية لا تكون إلا من جبر »

وفي (القاموس): « وجبره على الأمر كأجبره »

وفي (اللسان)، قال الأزهري: « كان الشافعي يقول: (جبر السلطان) وهو حجازي فصيح. فهما لغتان جيدتان جبرته وأجبرته »

وفي (الفائق): « فقيل: يا رسول الله، أليس الطريق يجمع التاجر وابن السبيل والمستبصر والمجبور، المجبور المجبر على الخروج يقال: جبره على الأمر وأجبره » فسوّى الزمخشري بين اللفظتين ولم يقل أجبر هي أعلى وأكثر

وفي (الملل والنحل) للشهرستاني، — وهذا من مقالة الجهمية — وفيه مجبور: « إن الانسان ليس يقدر على كل شيء، ولا يوصف بالاستطاعة، وإنما هو مجبور في أفعاله لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار[١]، وإنما يخلق الله الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات، وتنسب إليه الأفعال مجازاً كما تنسب إلى الجمادات كما يقال: أثمرت الشجرة، وجرى الماء، وتحرك الحجر، وطلعت الشمس وغربت، وتغيمت السماء وأمطرت، وأزهرت الأرض وأنبتت إلى غير ذلك »

فالمرء مجبر، مجبور كل المجبور كما تقول (الجهمية) الجبرية الخالصة. و (الأشعرية والماتُريدية) جبرية متوسطة

جَبْران: جَبْرٌ في الأرض، وجبر في السماء. فقل لي — يا أخا العرب — : هل يتحرر الانسان بعد آلاف من السنين أو بعد آلاف من القرون فيعود[٢] يقدر أو يريد كما تقول (القَدَريّة)

« الاسكندرية » « *** »

---

(١) يقال للغرباء الطراء (اللسان) وهو من تناء تلك الكورة إذا كان أصله منها، ويقال: أمن تنائها أنت أم من طرائها (الأساس)

(٢) البحرة المدينة، يقولون: هذه بحرتنا أي أرضنا وبلدتنا (الفائق)

(٣) أعدت الأمر جذعاً أي جديداً كما بدأ (اللسان) وطفئت حرب بين قوم فقال أحدهم إن شئتم أعدناها جذعة (الأساس) وقد ورد هذا القول في اللسان فحركت طاء طفئت بالضم وفاؤها بالكسر، والفعل هو لما سمي فاعله، وزيد قبله لفظة (إذا) فاضطربت الجملة

(٤) الجبرية بالتحريك خلاف القدرية والتسكين لحن أو هو الصواب والتحريك للأزدواج (القاموس) في الفصيح — يعني الكتاب — قوم جبرية بسكون الباء، وهذا — أي لفظ الجبرية — في قول المتقدمين وأما في عرف المتكلمين فيقال لهم المجبرة (التاج)

(١) يقولون ليس للعبد قدرة وأن الحركات الارادية بمثابة الرعدة والرعشة (التاج)

(٢) العود بمعنى الصيرورة، وهو كثير في كلام العرب كثرة فاشية لا تكاد تسمعهم يستعملون صار ولكن عاد، ما عدت أراه، عاد لا يكلمني ما عاد لفلان مال (الكشاف)

بين الرافعي والعقاد

للأستاذ محمود محمد شاكر

— ٥ —

« تحرقك النار أن تراها ، بله أن تصلاها »

منذ تسعمائة سنة قال الخفاجي حين ذكر البلاغة :

« لم أر أقل من العارفين بهذه الصناعة ، والمطبوعين على (فهمها) و (نقدها) مع كثرة من (يدعى) ذلك ، ويتحلى به ، وينتسب إلى أهله ، ويمارى أصحابه فى المجالس ، ويجارى أربابه فى المحافل . وقد كنت (أظن) أن هذا شيء مقصور على (زماننا) اليوم ، ومعروف فى (بلادنا) هذه ، حتى وجدت هذا (الداء) قد أعيا أبا القاسم الحسن بن بشر الآمدى ، وأبا عثمان عمرو بن بحر الجاحظ قبله وأشكالهما حتى ذكراه فى كتبهما ، فعلمت أن (العادة به جارية) ، و (الرزية فيه قديمة) . ولما ذكرته رجوت الانتفاع به من هذا الكتاب ، أملت وقوع الفائدة به ، إذ كان (النقص) فيما أبنته شاملاً ، و (الجهل) به عامًّا ، والعارفون به قُرحة الأدهم بالإضافة إلى غيرهم ، والنسبة إلى سواهم »

***

ومع ذلك ... فالأستاذ سيد قطب أحد (الاخصائيين ! !) فى اللغة التى نعبر بها

عاد الأستاذ الفاضل سيد قطب بحديثه عن الرافعيّ ، ثم عقب عليه بالحديث عني وعما كتبت فى الكلمات السالفة . وكنت عزمت أن أدعه حتى يشفى ذات صدره من الرافعيّ ومنى ؛ وكنت أجمعت الرأى على أمر ، ثم هأنذا أتحلل من عزيمتى ... ومرة أخرى أقول كما قلت فى الكلمة الأولى : إنى سأنولج فيما لا أحب ... لا كرامة للأستاذ أو استجابة لدعائه بل لميط الأذى ... بل لميط الأذى حسبُ

ولقد علم من لم يكن يعلم أنى كتبت ماسلف هادئًا لا أهاجم ، إلا أن أترفق وأستأنى وأتصبر على كلام ينفد معه صبر الحليم ... وأنا وإن كنت لا أبالى بشيء مما يصف الأستاذ الكامل به كلامى فأنا لا زلت أحفظ للقراء عهدهم قِبَلَ الكتّاب ، فلا أدع القارئ عرضة لرجل يفهم القول الرفيع بالفهم الوضيع ، ولا لرجل يسيء القول فى الناس ويأبى عليهم أن يقولوا له أسأت فأجمِل ، ولا لرجل يرى الظل ممدوداً له — زمن القيظ — فيتجنبه إلى وقدة الشمس ...

فهكذا أبى الأستاذ أن يأوى إلى مأوى بقيه ، وتجرد يختال علينا ، ويقتال إلى نفسه جريرة شر . وما ظنى وظنك برجل يصف الرافعيّ بألفاظ ملفقة ، وهى على ذلك بينة الدلالة على قبح الغرض ، سافرة عن شنعة الاساءة ، قليلة التذمم فى حق الأحياء بَلْهَ الأموات ممن لم تجف عن قبورهم بعدُ دموع أزواجهم وأطفالهم وذراريهم ومن يمتون إليهم بالحب والمودة والأخاء ؟

وما ظنى وظنك بانسان قد حُمِّل القلم ليستملى ، فيتنزل عليه القول من بغضاء مربدة باغية لا تتقى سوء المقال ولا مأثور الكلام ؟

وما ظنى وظنك بفهم يتعالى على سلاليم من القوارص والقوارع ، لا تجد لها فى الذى تعرف سبباً قديماً أو علة محدثة تسوّغ الأذى أو تحمل عليه ؟

ما ظنى وظنك بهذا الرجل الذى نترفق به ونستر (نفسه ودافعها فى الحياة) بالاشارة اللطيفة ، فيأبى إلا أن يترجم القول إلى غير معناه ... إذ يسمى ما كتبت له (شتائم) .. شتائم .. ! أنف فى السماء ... أأنا يدور فى نفسى أن أكتب للأستاذ الفاضل ما يسمي (شتائم) ؟ لأنا يا سيدى الأستاذ قطب أحسن ظناً بك من هذا . ولقد قلت ما قلت من أن الناس كانوا يتعايشون بالدين والتقوى ثم رفع ذلك — كما قال الشعبي — فتعايشوا بالتذمم والحياء ؛ ثم رفع ذلك ، ثم تعايشوا بالرغبة والرهبة ، ثم رفع ذلك ، وجاء زمان يتعايش الناس فيه (بِثَلْب الموتي) ... وهو زماننا هذا . ولو قد كنت (إخصائياً !) فى اللغة التى يعبر بها لما زعمت أنى (رحت أتهمك بمجانبة الدين والتقوى ، والحياء والتذمم) فأنا لم أقصد إلى ذلك ، فهو أمر قد فرغ من الحكم فيه صاحبنا الشعبي . وما كان قصدى إلا أن الذى كتبت أنت عن الرافعي الذى مات وسكت ، والعقاد الذى بقى يتكلم ، بل عنهما معاً فى قران واحد ، هو ثَلب للموتى و زُلفى للأحياء . وحق لى أن أقول

ذلك فقد جمعت بين الرجلين ، فوضعت الميت موضعاً لا يتنزل إليه حيٌّ في الضعة ، ورفعت الحي مكاناً لا يسمو إليه أحد في الرفعة ، وضربت الكلام من هنا ومن هنا حتى استبان الغرض ...

أريد (الاخصائي !) الفاضل أن نبين له موضع الاشارة في كلامنا هذا ... ؟ إذن فليسمع

حين قرأت الكلمة الأولى من حديثه في الرسالة ، لم أشك ساعة أنه يختدع القارئ عن نفسه يبتغي أن يُفهمه أنه يريد النقد ، والنقد حسب ، ولا شيء غير النقد ! وألح في ذلك إلحاح الظنين في الاكثار مما ينفي الظِّنَّة عنه ، غافلا عن أن تكلف نفي التهمة بالإلحاح يثير الشك ويوقظ الريبة في نفس من أراد الله له الخير ... ثم يشرع الأستاذ (الاخصائي في اللغة التي نعبر بها) يأتي بالشواهد من كلام الرافعي في نقد (وحي الأربعين للعقاد) ليثبت صدق ما ذهب إليه من الآراء في الرافعي

كان يشك في « إنسانية » الرافعي ، ويزعم أنه خواء من النفس

ثم قرأ ما كتب الأستاذ سعيد العريان فعدَّل حكمه قليلا ! ولم يعد يستشعر البغض والكراهية للرجل وأدبه ، ولكن بقي الأساس سليما ... فما هو ؟

كان ينكر على الرافعي « الإنسانية » فأصبح ينكر عليه « الطبع »

وكان لا يجد عنده « الأدب الفني » فأصبح لا يجد عنده « الأدب النفسي »

وكان الرافعي ذكياً قوي الذهن ، ولكنه مغلق من ناحية الطبع والأريحية

والرافعي أديب الذهن الوضاء ، والذكاء اللماع !

والرافعي مغلق القلب متفتح العقل وحده للفتات والومضات . هذا في المقالة الأولى ، ثم نزل درجة بالرافعي في الكلمة الثانية ، ثم لم يكد يرى الثالثة حتى زعم أنه حين عاد بعد ذلك فقرأ رسائل الأحزان أحس أنه (خُدع !) في — قياس ذكاء — الرافعي ! ومعرفة طبيعته ودرجته ! ولكنه يحس الغضاضة في هذا التراجع فيعزّيه « الصدق » ! الذي يعبِّر عنه حين ينصت لإحساسه ويصور حقيقة رأيه ... وتأويل ذلك عنده في مقاله الثالث أنه أخطأ في عدم ! تحديد (الذهن) ... فمن الذهن ما هو سليم أو مريض ، وماهو مشرقٌ أو خابٍ ، وماهو متفتح أو مغلق ، (أو كما قال) ...

لقد قال في الكلمة الأولى ما رأيت ، ثم قال في الثالثة ما رأيت من تراجعه ؛ ولقد كان هذا التراجع في الثالثة مطوياً تحت الكلمات في الأولى وفهمناه وأدركناه ، وكان آخر الرأيين هو الغرض الذي يسمى إليه . وإلا فما أظن أحداً يستطيع أن يعقل أن (ناقداً) قد فرض على نفسه النقد — أي التتبع والاستيعاب وصدق النظر — يصف رجلا « بالذهن الوضاء » « والذكاء اللماع » والقوة في الذهن ، والتفتح في العقل ، ثم لا تمضي عشرة أيام ... فيقرأ أحد كتب هذا الرجل ، فيعود يقول في صفته إن ذهنه مريض غير سليم ، «خاب غير مشرق» ، « مغلق غير متفتح »

أريد الأستاذ (الأخصائي في اللغة التي نعبر بها) بياناً هو أوضح من هذا على سوء غرضه ..؟ الناقد رجل عدل مُنصف لا يزال يتتبع شوارد اللفظ ، وأوابد المعاني يستنبئها أخبار أصحابها ويستنبط من قلوبها أسرار كتابها ، ويكشف عنها خبيئة قائليها ..، ثم يحكم مميزاً مقدرا لا يجورُ فيتجاوز الغاية ، ولا يحيفُ فيقعُ دون المدى . وقد حكم هذا (الاخصائيُّ !!) في كلمته الأولى حكمه الأول حين (استطاع أن يكون ناقداً ، لا يكتفي بالتذوق والاستحسان أو الاستهجان ، ولكن يعلل مايحس ويحلله) !! كما قال في بدء كلامه

أوليس يقتضي هذا — على الأقل — أن يكون قرأ كل ما طُبع من كتب الرافعي دون ما تفرق من كلامه في الجرائد والمجلات على كثرتها ..؟ بلى

أوليس يقتضي هذا — على الأقل أيضاً — أن يكون حين حكمه قد استردّ شتات ما بقي في نفسه من آثار كلام الرافعي فيها ؟ قالوا بلى

أوليس يقتضي حق النقد والحكم — على الأقل أيضاً — ألا يصفَ الرافعي بالذكاء اللماع ، والذهن الوضاء ... وهذا

الكلام المفخم — إلا أن يكون ذلك من آثار ما قرأ له من شيء ..؟ قالوا بلى

إذن فكيف — فى عشرة أيام ياسيدى — يستطيع كتاب واحد للرافعى هو « رسائل الأحزان » أن يقلب — هذا (الأخصائى فى اللغة التى نعبر بها) ، وهذا الذى (استطاع !! أن يكون ناقدا) — رأسا على عقب ، فلا يكتفى بسلب النعوت المفخمة (كالوضاء واللماع والمتفتح) فيترك الذهن هكذا مجردا، بل يضع مكانها أضدادها فيجعله ذهنا « مريضاً خابياً غير لماع ولا وضاء ، مغلقاً غير متفتح »

هاه ... إنى لأشك كل الشك فى براءة الأستاذ مما غاظه من كلمتى الأولى مما سماه (شتائم) . ولقد شهدت مرة أخري « أن ما بالأستاذ قطب النقد ، ولا به الأدب ، ولا به تقدير أدب العقاد وشعره ، فما هو إلا الانسان وجه يكشفه النور ويشف عما به ، وباطن قد انطوى على ظلمائه فما ينفذ إلى غيبه إلا علم الله » . ولا زلت أقول له : «إنه لو عاد إلى داره مخلى من حوافز الحياة الدنيا» فقرأ ما كتب قراءة الناقد لوجد الاختلاط فى لفظه بيناً ، والغرض من ورائها متكشفاً . ولو شئنا أن نقول لقلنا فلم نكذب : إن كلامه لمشترك بين ضربين من العقل أحدهما ظاهر نعرفه ولا ننكره لأنه مما عهدناه زماناً ، والآخر ظاهر أيضاً ... نعرفه وننكره ، لأنه مما استحدث بعد الرافعي رحمة الله عليه

وأما الأديب الكبير ! الذى لقى الأستاذ (الاخصائى فى اللغة التى نعبر بها) فضرب لنا الأمثال « بالجماعة الذين يجلسون فى المآتم ويرجمون الناس بالحجارة ، فاذا رجمهم الناس صاحوا وولولوا ، وملأوا الدنيا تسخطاً ونعياً على الأخلاق ، لأن الناس لا يقدرون حرمة المأتم ، وهم الذين استهانوا بهذه الحرمة حينما رجموا المارة » . فان شاء أن يختفى فى ألفاظ الأستاذ (الاخصائى!) فهو عتيق جبنه ، وإن شاء أن يظهر من ورائه فسيرى كيف عرفناه من لفظه ومن أمثاله

وأيما كان ... فالمثل فاسد من وجوهه كلها ... فان الأستاذ سعيد حين كتب لم يرجم أحداً ، وإنما كتب تاريخاً ؛ وحين قال إن رد العقاد على الرافعى سباب وشتائم ، فهو لم يكن إلا كذلك ، ولا يمكن أن يقال فيه إلا ذلك ... إذ ليس فيه شيء مما يسوغ أن يعد ردًا أو نقداً ... حتى ولا على طريقة الأستاذ (الاخصائى!) فى حل المنظوم ووصفه بالدعابة والطرافة والحيوية ... وما إلى ذلك من اللفظ الذى لا يتخذه ناقد إلا بعد الابانة عن محجته وسبيله . أو كما قال الأستاذ (الاخصائى!) فى كلمته الأولى « فى الناقد الذى لا يكتفى بالتذوق والاستحسان والاستهجان ، ولكن يعلل ! ما يحس ويحلله »

ومع ذلك فهل يرى أحد أن (حل المنظوم) فى ألفاظ ملفقة مذيلة ، ثم نعته بالطرافة والحيوية ... الخ ، هو التعليل والتحليل الذى يتخذه النقاد أسلوباً لهم ؟

ومع ذلك أيضاً ... فلو فرض أن « سعيداً » رجم المارة ، والمارة ههنا هم الأستاذ العقاد وحده ، فلم تطفل الأستاذ (الأخصائى) فقاذف الأستاذ المريان ؟ ولم لم يدع ذلك للمرجوم نفسه ... ؟

ثم وراء ذلك كله .. تطفل (الأستاذ الأخصائى !) للقذف والرجم ، فلم لم يخص سعيداً وحده دون أصدقاء الرافعى وأصحابه يتحداهم ويتناولهم بالأذى غير متذمم ... كأن أصدقاء الرافعى وأصحابه هم الذين كتبوا لسعيد ما كتب ! !

***

وبعد فهذه كلمة كتبناها لنقرر حقيقة واحدة هى أن الأستاذ (الأخصائى فى اللغة التى نعبر بها) ، كان فى أول حديثه عني — حين انتهى من حديث الرافعي — يضطرب ويؤخذ ويتناوح كأنه قصبة مرضوضة معلقة على عود هش قد يبس ... أريد أن أقول بلفظ آخر إنه كان يضطرب لأن حججه التى يتعلق بها حجج فاسدة ، وإن أصل كلامه عن الرافعى خائر يتصدع ، وإن فكره فى الذى كتب لم يستقر على شيء صحيح لا يختلف عليه

وسيرى فيما يستقبل من كلامنا أنه قد عجز كل العجز عن الاتيان بشيء يمكن أن يسمى نقداً . وسيرى أيضاً أن النقد الذى نأخذ أنفسنا به لا يجور على العقاد ، ولا يميل بنا إلى الرافعى . ويكفيه مما مضى فى كلامنا وكلامه أن يعلم أنه نزه العقاد ورفعه أرفع درجة ، وأننا لم ننزه الرافعى ولم نقل فيه بعض ما يقول هو فى الشاعر الكبير صاحبه

محمود محمد شاكر

بين العقاد والرافعي

للأستاذ سيد قطب

- ٦ -

جاء فى حديث الأستاذ سعيد العريان عما بين العقاد والرافعى :

« أصدر العقاد ديوان « وحى الأربعين » فى سنة ١٩٣٣ ، والسياسة المصرية يومئذ تسير فى طريق معوج ، وحكومة صدقى باشا تمكن لنفسها بالحديد والنار ، و « الوفد » ومن ورائه الأمة كلها يجاهد حكم الفرد ويكافح للخلاص ، والعقاد يومئذ هو كاتب الوفد الأول ، يكتب المقالة السياسية فترن رنيناً ، ويلقفها آلاف القراء بلهفة وشوق ، فى كل مدينة وكل قرية ، فلا عجب أن يكون العقاد بذلك عند عامة القراء ، هو أبلغ من كتب وأشعر من نظم ، حتى ليؤول أمره من بعد إلى أن ينحله الدكتور طه حسين بك الوفدى المتحمس ، لقب « أمير الشعراء » تملقاً للشعب ونزولا على هواه »

ثم قال كلاماً آخر يمت إلى هذا الكلام ، ويضرب على نغمته ويرجع انتصار العقاد على الرافعى فى المعركة عند غالبية القراء إلى هذه العوامل السياسية . وكان هذا وأمثاله من الأسباب الأولى التى حفزتنى للكتابة فى الموضوع الذى أكتب فيه ، لأنها ندت عن التاريخ إلى الحكم والتعليق والترجيح

***

يخطئ الذين يعتقدون أن العقاد يستمد قوته من ظروف طارئة أو قوى خارجة عن ذاته ، كالسياسة ، والحزبية ، والصحافة ... الخ

والبراهين على ذلك شتى

فلقد قيل إن العقاد كان قوياً بأن كان « كاتب الوفد الأول » ولكن العقاد خرج على الوفد أول الخارجين فى إبان قوته وسطوته ، وبعد تجربة فى الخروج عليه ذهب بها إلى عالم النسيان ثمانية من أعضائه يتابعهم ثلاثون من الهيئة الوفدية

وقد لقى من الكيد ، ووسائل النضال ، الظاهرة والخفية ، البريئة والشائنة ، ما لو وجه إلى هيئة كاملة لضعضعها . فما ذا كانت عاقبة هذا الخروج ؟

لقد بقى العقاد هو « الكاتب الجبار » ، وتضعضع خصومه ووراءهم قوة العدد ، وقوة الحكم ، وقوة المال ، وقوة الماضى الوطنى ، وكل قوة مأمولة فى الوجود !

ثم قيل : إن العقاد يستمد قوته من الصحافة ؛ ولكنه طوى قلمه عامين كاملين وكان ذلك بمض ما دبره له خصومه الأقوياء . فما ذا كانت العاقبة ؟

لقد بقى العقاد مع ذلك جهير الصوت ، مسموع الرأى ، وأخرج للناس فى هذه الفترة ثلاثة مؤلفات : أحدها « سعد زغلول » وهو يكفى وحده لخلود كاتب عظيم ، وبقى خصومه يحسبون حسابه ، ويتوقون قلمه ، وبقى كل فرد فى القراء يرتقب عودته إلى الميدان ... وقد عاد !

ثم لماذا يكون العقاد قوياً بالسياسة وحدها ، وخصومه — ومنهم الرافعى — كانوا يلجأون إلى الدين ، وهو أقوى أثراً من السياسة ، وأتباعه أكثر من أتباعها ، فلمَ لم تكن لهم الغلبة وسلاحهم أقوى وأبرز ؟

الحق ، أن كل هذه تعلات وأوهام ، وخطأ فى تقدير أسباب الغلبة ، ووسائل البروز ، وإغفال للقوى الذاتية الكامنة التى هى مدار كل نصر وظهور فى عالم الوجود

ألف حزب سياسى ، وألف صحافة ، وألف مناسبة طارئة ، لم تكن كفيلة بإبراز العقاد ، لو لم يكن العقاد نفسه قوة من قوة الطبيعة ، وطاقة من طاقة الحياة ؛ ولو لم تكن فى أطواء نفسه ومواهبه ، بذور العظمة ، وخميرة التفوق ، ودوافع النهوض

إنما انتصر العقاد لأنه يكتب فى السياسة بالهام من الوطنية ، ثم يجنح بالوطنية إلى النزعة الانسانية ، وينفق فى هذا كله من ذخيرة روحية لا تفنى

والحقيقة أن العقاد — مع هذا — مغبون أشد الغبن ، فى مدى شهرته ، وفى نوع شهرته . مغبون لأنه فى بيئة بينه وبينها عشرات الأميال من الفوارق والخطوات ، وقل فيها من يتابعه فى سموقه ، أو يترسم خطاه على بعد المسافة . ومغبون لأنه ليس

معروفاً بخير ما فيه ، لأن خير إنتاجه يتطلب قراء من نوع مفقود أو شبه مفقود

ولو فهم ذلك بعض من نفسوا عليه وحقدوا ، لأراحوا بالهم بعض الشيء ، أو لعلهم كانوا يزيدون عداء وحقداً ...

* * *

ويخطىء الذين يحاولون أن يدرسوا العقاد — ولا أقول ينقدونه — وكل محصولهم من الثقافة ، كتب لغوية درسوها ، وكتب أدبية فهموها من آداب اللغة العربية . فليس العقاد أديب لغة وأديب أسلوب ، حتى تكفى اللغة ويكفى الأدب الخالص فى فهمه ، ولكن نتاج العقاد مجتمع ثقافات ودراسات قديمة وحديثة ، عربية وغير عربية ، مصهورة فى بوتقة طبيعة ممتازة ، ونفس رحبة ، وذهن مشرق ، ومواهب تنتفع بالثقافة ، وتعلو على حدود الثقافات !

ولقد رقيت إلى محاولة استيعاب العقاد — وأفلحت إلى مدى — على درج من دراسات شخصية جمة ، ليست دراسة الأدب العربى ولا اللغة العربية إلا أولى خطواتها . دراسات تشمل كل ما نقل إلى اللغة العربية — على وجه التقريب — من الآداب الأفرنجية : قصة ورواية وشعراً ؛ ومن المباحث النفسية الحديثة : نظريات العقل الباطن والتحليل النفسي والمسلكية .. الخ ومن المباحث الاجتماعية والمذاهب القديمة والحديثة ومن مباحث علم الأحياء — بقدرما استطعت — وما نشر عن دارون ونظريته ومن مباحث الضوء فى الطبيعة ، والتجارب الكيماوية . ومما استطعت أن أفهمه عن اينشتين والنسبية ، وعن بناء الكون وتحليل الذرة ، وعلاقته بالاشعاع ... الخ

ولا أفصل أو أتوسع فى هذا ، فحسبى أن أقول : إننى انتفعت بكل معرب أو مؤلف ، عن النظريات العلمية والفلسفية الحديثة فى شتى أنواع الثقافة ، مدفوعاً فى ذلك بميل طبيعى ، كان يسيرنى — دون إرادة — حينما أتناول صحيفة كالمقتطف مثلاً أن أبدأ بقراءة البحوث النفسية ، ومباحث علم الحياة ، وما قد تتضمنه عن علم وظائف الأعضاء ، وعن تحطيم الذرة ... وما أشبه ذلك قبل أن أتناول ما بها من بحث أدبى أو قصيدة !

وبكل هذه الثقافات بعد الثقافة الأدبية ، وبعد استعداد نفسى انتفعت فى فهم العقاد واستيعابه إلى حد ما . وسأزداد له فهماً كلما اتسع مدى ثقافتى ، وتفتحت جوانب نفسى ، وقويت نوازع الحياة فيها

فالذين يحسبون الأدب مادة لغة أو أسلوب ، ويعتمدون على نفوس ضيقة وأذهان محدودة ، وثقافة من لون واحد ، لا يصح لهم أن يطمعوا فى دراسة العقاد ، ولا يجوز منهم أن ينقدوا العقاد ، لأن أدواتهم لا تزال ناقصة ، أو معدومة فيما يتصدون له . بينما الرافعى أستاذهم لغة وأسلوب متى فهما لم يبق شيء وراءهما غير مفهوم ؛ فهو سهل جداً لا يكلف مجهوداً ولا عناء .

واللغة والأسلوب وحدهما لم يكونا كافيين لدراسة أى شاعر عربى عظيم ، في وقت لم تكن الثقافة الإنسانية قد بلغت مبلغها الآن ، والذين يراعون اللغة والأدب المحض وحدهما لا يستطيعون دراسة المتنبي ولا المعرى ، بل لا يستطيعون دراسة ابن الرومى وأبى نواس ، لأن جداول من الفلسفة ومن الفلك والطب والتنجيم وسواها ، قد صبت فى ثقافاتهم ؛ فكان لابد من قسط يعادلها عند نقادهم مع الاستعداد النفسى الأصيل إذا شاءوا النقد على حقيقته

وأقرب مثل على فساد النقد الذى يتصدى له اللغويون والأسلوبيون ، ما أورده الأستاذ محمود محمد شاكر عن قزح وقوسه ، وناقشته فيه فى العدد الماضى . فهو يأخذ على العقاد نقده لبيت شوقى :

قصراً أرى أم فلكا   وشجراً أم قزحا

وذلك لأن العقاد قد قال بعد هذا :

ألقى لهن بقوسه   قزح وأدبر وانصرف

فلبسن من أسلابه   شتى المطارف والطرف

وفساد هذا المأخذ أن الأستاذ لا يفرق بين صورة لغوية وصورة ذهنية خيالية . فلفظة « قزح » فى بيت شوقى ، لا تزيد على أنها « لفظة » لغوية ليس وراءها صورة ذهنية متخيلة مقصودة. فالمرجع فيها إلى القاموس ، والقول قول القاموس ؛ أما هى عند العقاد ، فتعنى « حالة » خاصة مطلوبة ، فيها قزح ملك الألوان ، ممسكا قوسه ، وهؤلاء الحسان ينازعنه عليها ، فيغلبنه ، فيسلم

بالغلبة ، ويلقى قوسه وسلاحه وينصرف فلبسن منها شتى المطارف والطرف . فالمرجع هنا للذهن والذوق لا للقاموس

وقد عانى الرافعي ما عاناه شاكر ، وما تعانيه المدرسة الرافعية كلها في تفسير العقاد ، لأن عدتها للنقد من استعداد طبيعي وثقافة مكسوبة ، شيء قليل

***

ولا حيلة في فهم كثير من أدب العقاد بغير الاستعداد الطبيعي ، مع لون من ألوان الثقافة الإنسانية الحديثة . والأمثال على ذلك قد توضح ما سبق من إجمال . فها هي ذي قطعة من « وحي الأربعين » بعنوان : « سعادة في قمقم »

هنا قمقم سابح في اليم ... أسائلُ عنه ولم أعلم
جهلتُ خباياه حتى أتى ... غريب الطلاسم بالمعجم
ففيه كما قيل مسجونة ... سعادة بعض بني آدم
تحن جنونا بنور الضحى ... وتذبل في حبسها المظلم
وقد زعموا أن إطلاقها ... رهين بهمة ذاك الفم :
بسر على شفتي فاتن ... يباح إلى شفتي مغرم
فهل أنت مطلقها منعما ... فديتك أم لست بالمنعم ؟
وما أنا بالمشتهى قبلة ... ولا بالحريص على مغنم
ولكنما أنا أبكي أسى ... لتلك الشهيدة في القمقم !

فهل فهم الرافعيون شيئاً من هذه القطعة مع وضوح كل لفظة فيها وكل عبارة ؟ وكيف يستطيع فهمها من لم يدرس شيئاً عن نظرية فرويد في « العقل الباطن » ويكون مع هذا على استعداد لأن يحس ، بأن النوازع والرغبات المكبوتة في النفس والأشجان والبلابل والاضطرابات التي تعتريها في إبان ضرام الحب ، تظل تعتلج في النفس ، وتقلقها وتهزها هزا كمواد البركان المكتوم ، حتى ينفس عنها ، ويتاح لها التعبير ، فاذا هي سعادة وهدوء وراحة

هذا ما يقوله العقاد في ثوب من الفن ، وجمال من التعبير ! عواطفه الثائرة ، وبلابله المضطرمة ، هي نفسها سعادة حبيسة إذا أتيح لها الكشف والتعبير ، وكيف يكون التعبير ؟ يكون بقبلة على « شفتي فاتن » تبيح السر إلى شفتي مغرم ، وعندئذ تنطلق « تلك الشهيدة في القمقم التي يبكي لها أسى .

فهنا النظرية العلمية ، والحقيقة المدركة ، والفن العالي ، والدعابة القوية ، والنزل الشفاف ، تلتقي كلها في قطعة قصيرة ، يطلب بها قبلة !

وإليك مثالا آخر في « عابر سبيل » تحت عنوان « ابنا النور — الزهر يخاطب الجوهر »

يا جوهر الحسن لا تضعني ... لديك بالموضع المهان
فالزهر والجوهر المصفى ... صنوان في النور توأمان
أشعة النور في يدينا ... وديعة أو وديعتان
لكننا بيننا اختلفنا ... يا جوهر الحسن في الصيان
تصونها أنت من بعيد ... بالسيف والرمح والسنان
ولم تزل في يديَّ كنزاً ... يصان بالعطف والحنان
ومعدن النور فيَّ حي ... وفيك معنى الحياة فان
فيا زماناً بلا حيــاة ... إني حياة بلا زمان
كل له من أبيه حظ ... ونحن بالحظ راضيان

فمن أين يدرك قارئٌ ما في مثل هذه القطعة من جمال ، قبل أن يعرف المادة الخاصة لفهمها من دراسة « الضوء » وتوزيعه وأثره في الأحياء وغير الأحياء ، ونصيب الزهرة منه ونصيب اللؤلؤة ، ثم يضيف إلى هذا عاطفته هو ، وإحساسه بمظاهر الحياة وعطفه على الزهرة الحية التي تحفظ كنز النور بالعطف والحنان ... الخ

***

وقد اخترت هاتين القطعتين ، تتطلبان دراسة علمية للنفس أو للضوء ، ووراءهما كثير مما يتطلب دراسات أخرى أعمق وأوسع وأرقى في مدارج المعرفة الانسانية ، فيحسن أن أنبه إلى أن هذه الدراسات ليست هي كل ما في نتاج العقاد ، ولا هي خير ما فيه ، فان وراءها ذخيرة نفسية وطاقة روحية ، وإشراقاً ذهنياً ، وهذه المواهب هي التي تحيل تلك الثقافات فناً سائغاً ، ولكنه فن صعب المرتقى ؛ تبدأ درجاته بالثقافة وتنتهي بفسحة النفس ، ورحابة الحس ، وتوفز الشعور . وليس كل من درس تلك النظريات بقادر على فهم العقاد ما لم يكن ذا نفس وقلب وحياة !

وموعدي مع القراء كلمات أخرى ، لعلني بها أوضح الفروق الأساسية بين المدرستين ، فينكشف سبب الخلاف الأصيل بينهما ، ومقدار أصالة كل منهما ، وحقه في الحياة والاحترام .

(حلوان) سيد قطب

كلمة على الهامش

للأستاذ علي الطنطاوي

أنا لا أحب أن أنزل إلى ميدان المناظرة بين الأستاذين الفحلين شاكر والعريان ، والأستاذ قطب ؛ لأنه لا يقوم لأحدهما بله أن يمينهما عليه معين ، على أن الحق لعمري يمينهما . ومع الحق بيان يجلو الحق ، ولغة فخمة كأن فيها روحاً من روح الرافعي رحمه الله ، ولهذا البيان قراء يبلغون مائة الألف انعقدت قلوبهم على محبة الرافعي وإجلاله ، وآمن منهم من آمن بأن الرافعي رجل لم يكتب بالعربية من هو أبلغ منه بلاغة ... فما حاجة ضعيف مثلي أن ينزل إلى الميدان ؟

وفيم الخلاف ؟ في (انسانية) الرافعي ! ...

الأستاذ قطب يشك في (انسانية) الرافعي ... أي أنه يشك في انه انسان ، فماذا يكون إذن ؟

ثم ماذا ؟ ثم انه (على رأي سيد قطب) تنقصه العقيدة ! والعقيدة مشتقة من العقد ، قال في اللسان : عقد قلبه على الشيء لزمه ... واعتقد كذا بقلبه أي رآه ، فلابد إذن لتمام كلمة الأستاذ قطب من أن يبين الشيء الذي ينقص الرافعي رضي الله عنه اعتقاده ، وإلا فكلامه لا معنى له في العربية .. فهل ينقص الرافعي العقيدة في الدين ، أو في الوطنية ، أو ينقصه اعتقاد مذهبه في الأدب . أو ماذا ؟

أو هي ألفاظ تساق ولا يدرى لسائقها غاية إلا التهويل بها على القراء ؟

هذه مسألة لا يصح أن يكون عليها خلاف ، أو تدور عليها رحى مناظرة ...

أما جوهر الخلاف بين أدب الرافعي وشعر العقاد ، فهو الخلاف بين الأسلوب الذي يعتمد على البيان والصحة والصناعة والجمال ، وبين الأسلوب الذي يستند إلى المعنى المبتكر ، والصورة الجديدة ، لم يظهرهما لفظ قوي ، ولا أداء مستقيم . فالعقاد في شعره مبتكر مجدد ، ولكني أشبه ألفاظه وهي تحمل معانيه ، بصبيان ضعاف مهازيل ، يحملون الصخور العظيمة فتسحقهم ويموتون تحت أثقالها ... كما أني أجد من الأساليب ما أشبه ألفاظه ومعانيه بعمالقة ضخام ، ولكنهم يحملون حفنة من الحصى

فالخلاف إذن على اللفظ والمعنى ، هذه المشكلة التي تكلم فيها الجاحظ ، ولم ينته القول فيها بعد . على ان في إطلاق اللفظ والمعنى تجوزاً ، لأنه يستحيل أن يكون في الوجود لفظ بلا معنى ، من يذكر كلمة السماء ولا يتصور هذه القبة الزرقاء ، أو يسمع اسم الكتاب ولا يذكر هذه الصحائف المجموعة ؟ كما يستحيل أن يكون معنى بلا لفظ ، لأن هذا المعنى يبقى خاطراً هاجساً في نفس صاحبه لم يدخل نطاق الأدب . ولكن الكلام في قطعتين أدبيتين ، إحداهما تزدان بالتعبير الجميل ، والأسلوب البارع ولكنها تصف شيئاً تافهاً ، أو تدور على معنى سخيف ، والثانية يتصور صاحبها ناحية من نواحي النفس البشرية ، أو ظاهرة من ظواهر الكون ، فتجيد التصور ولكنه يعجز عن التصوير ، فأي هاتين أسمى مقاماً وأدنى إلى الأدب الخالص ؟

هذه هي المسألة !

أما المتقدمون من نقدة الأدب العربي فأكثرهم على أن المعاني على قوارع الطرق ، وإنما يتفاضل الناس بالألفاظ . وليس معنى هذا احتقار المعنى وتهوين شأنه ، فإن للمعنى المقام الأول عند نقادنا . ونستطيع أن نقرأ الفصل القيم الذي عقده الامام الجرجاني في الدلائل ، ولكن معناه أن الشعور بالجمال عام ، ولكن الناس يتفاضلون بالتعبير عنه ؛ إذا نظر جماعة من الناس إلى مغرب الشمس في البحر ، أو بزوغ البدر من وراء الجبل ، أدركوا جميعاً جمال ما يرون (وإن كان كل يدرك على نسبة استعداده وهوى نفسه) ، وإن وقف جماعة في موقف الوداع أحسوا جميعاً بالألم يغمر نفوسهم ، ولكن هذا الادراك وهذا الاحساس لا يسميان أدباً ، وإنما الأدب هو الصيغة اللفظية التي يعبر بها عن هذا الاحساس ؛ وعلى مقدار التوفيق في هذه الصياغة تكون قيمة القطعة الأدبية

هذا هو الحق ، ولكن هذه الفئة من المجددين ، أرادت حين عجزت عن الأداء المستقيم والصياغة البارعة والديباجة الصافية أن تقلل من قيمتها وتحقرها ، وتسمي كل أديب يعرف للغته حقها وكل أديب آتاه الله ملكة قوية ، تسميه سطحياً فارغاً . ولقد

بلغ من فساد أذواق بعض هؤلاء المجددين أن قرأت مرة لواحد منهم فصلاً يقدم به لكتاب ، فوقع له فيه مجاز حلو أحسست لما قرأته بمثل ما أحس به حين تطلع على من الطريق فتاة جميلة ، وعجبت له من أين جاء به ، ولكن عجبي قد بطل حين رأيته يعتذر منه ، ويريد أن يواريه كما يوارى المرء سوأته ، لأنه — زعم — يكون (بهلواناً) إذا جاء بمجاز حلو ، فليتصور القارئ أي شيء يكون الأدب إذا اطرّح المجاز واقتصر على الحقيقة ؟

هذا سر الخلاف في رأيي . والرافعيُّ رضى الله عنه ، بلغ في هذه الصناعة ، وفي توليد المعاني ، وفي نخل الألفاظ وتصفية الديباجة ما لم يبلغه كاتب عربي ، فلا عجب إذا أبغضه خصوم البيان العربي

* * *

والعجب من الأستاذ سيد قطب ! يأبى أن يناقش الأستاذ العريان لأنه لم يأت على أغراضه بدليل ... ثم ينقد أبياتاً للرافعي يقطر ماء السلاسة من أعطافها ، وتنطق كل كلمة فيها بألم صاحبها في حبه ، وعذابه في غرامه ، حين سمع أن للحب ليناً ووصالاً ، ولكنه لم ير إلا قساوته وجفاءه ، فهو يسأل المحبين كيف يكون هذا اللين ، وينظر حوله فإذا قد (قضى كل ذى دين فوفى غريمه) فيأسى ويألم لنفسه أن بقيت ديونه وحدها لم توف . ثم يمد يده ينظر هل من مسعد أو من معين ، ولكنه لا يريد مساعدة ولا عوناً ، هو هانئ بالحب لأن الحب أهناه حزينه ، قال :

من للمحب ؟ ومن يمنيه ؟ والحب أهناه حزينـــه
أنا ما عرفت ســوى قسا وته فقولوا كيف لينـه
ان يقض دين ذوى الهوى فأنا الذى بقيــت ديونه

فلا يجد نقداً لهذه الأبيات الثلاثة (وثالثها مأخوذ من بيت كثير المشهور ، لم يتنبه لذلك سيد قطب) إلا أنها تقليد لشعراء الدول المتتابعة والمماليك في مصر ...

هذا هو النقد الفني عند الأستاذ سيد قطب !

* * *

ويقول الرافعي رضى الله عنه :

قلبي هو الذهب الكريم فلا يفارقه رنينـــه
قلبي هو الألمـــاس يعـ رف من أشعته ثمينـــه

فلا يفهم سيد قطب من هذا التشبيه البليغ إلا (أنه يذكر قلبه في سوق الجوهرات من الذهب والألماس معتقداً أن تلك المعادن أثمن من القلوب لأنها تقوّم بالمال الكثير في السوق) — مع أن الأستاذ قطب يدعي في رأس مقاله بأنه أفهم لأدب الرافعي من الأستاذ العريان ، فهو إذن يتعمد أن يتظاهر بأنه لم يفهم هذين البيتين لغرض في نفسه ... ولا حيلة لنا معه في ذلك !

والأنكى من ذلك كله ... أن ينقص هذا البيت الذى يعدل والله قصيدة ، بل ديواناً من دواوين الغزل :

قلبي يحب وإنمـــا أخلاقه فيـــه ودينه

إن انتقاد هذا البيت وتشبيهه وما بعده بالخطب المنبرية الجافة تحقير للحب ، وتنزيل له إلى حيث يخالف الدين والأخلاق حتما ، ودعوى ضمنية بأن الحب لا يستطيع أن يحتفظ بخلق ولا دين !

* * *

على أن الرافعي رحمه الله عيوباً ومزايا . وليس إلا الله خالياً من العيوب ، والرافعي مِلْك للنقد ، ولكن للنقد شرائط ... أولها أن يلق الناقد عنه هواه ، ويطرّح بغضاءه . فان البغضاء تدفع إلى الظلم ، والهوى يعمى ويصمّ !

دمشق   علي الطنطاوي

ليلى المريضة في العراق

للدكتور زكي مبارك

— ٢٠ —

تأهبت ظمياء للكلام فاستوقفتها لحظتين لأنظر الأشرطة السينمائية التي يعرضها الشقاء أمام خيالي . فهالني أن أشهد ألوف المناظر وفيها المفرح والمحزن والأخضر والأسود ، وضجت في أذني تلك الكلمة الباغية التي قالها أحد الزملاء المصريين وقد ترامت الأخبار بما بيني وبين ليلى من خلاف ، قال ذلك الزميل وهو يلتهم حساء البقلة الحمقاء :

« كان رأيي من أول يوم أن الحكومة المصرية أخطأت في اختيار زكي مبارك لمداواة ليلى المريضة في العراق وهي تعلم أنه عجز عن مداواة ليلى المريضة في الزمالك »

أنا عجزت عن مداواة ليلى المريضة في الزمالك ؟

أنا ما عجزت ، وإنما رأيتها لئيمة لا تحفظ الجميل فضننتُ عليها بالطب والدواء ، وأخذت أدرس ماصرت إليه في هوى ليلى . فحب هذه المرأة هو أخطر ما عرفت في حياتي من ظلام وضلال

أحبك يا ليلى أحبك !

وإنما كان كذلك لأنه ابتدأ بالعطف ، عطف الصحيح على العليل ، والعطف يؤصّل جذور الحب ويهيّئ القلب للهيام المَشوف

كانت ليلى تصح على يدي من يوم إلى يوم ، وكان حالي معها حال الجنّان الذي يتعهد إحدى الشجرات بالسقي والرعاية فتنمو عواطفه بنموها من حيث لا يعرف ، ثم تصبح الشجرة وهي معبودته من دون البستان

أحبك يا ليلى أحبك

ورأت ليلى شغفي فلم تفطن إليه ، ولعلها كانت تراه لوناً من ترفق الأطباء فمضت تناضلني نضال الصحيح للصحيح ، ولم تدر ما نقل المِشرط إلى دمي ، وآه ثم آه مما ينقل المشرط ، فالناس لا يفهمون كيف يعيش العليل وجسمه موبوء بالجراثيم على حين تكون جرثومة واحدة ينقلها المشرط إلى جسم الطبيب وهو صحيح كافية لقتل الطبيب

الناس لا يفهمون هذه الظاهرة وهي عندهم من الغرائب ولكن تعليلها سهل . وهي أول درس تلقيته بكلية الطب في باريس

السبب يرجع إلى شعور الطبيب بخطر الجراثيم ، فهو حين يشعر بانتقال العدوى إليه ينفعل جسمه كله دفعة واحدة فيصرعه المرض

وهذا يشبه تمام الشبه ما يقع في عالم الأخلاق ، فالرجل صاحب الوجدان السليم تؤذيه الهفوة الصغيرة فيقضي سائر عمره في استغفار وقد يقتله تأنيب الضمير ، ولا كذلك المريض بالجسم والوجدان ، فالأول يعاني العلل المهلكات ثم لا يموت قبل أوان الموت ، والثاني يُجرم نحو نفسه ونحو الانسانية ثم يعيش وهو مستور الحال ، لأنه يجهل خطر ما يصنع

ومن أجل هذه المعاني عشت شقياً في حياتي ، فأنا تلميذ قديم من تلاميذ الغزالي ، وكل شيء يجوز عندي إلا إيذاء الناس ، وقد يتفق في أحيان كثيرة أن أهجم على خصومي بعنف ، ولكنه عنف مصطنع ، لأني لا أحشو المسدس بغير البارود ، فيثور من حولهم الدخان ، ثم يسلمون لأن القذيفة لم يكن فيها رصاص

ويصنع خصومي غير ما أصنع ، لأني غبيّ وهم أذكياء !

هم يحشون المسدسات بالرصاص ثم يقذفون ، وكم يبقى الريشُ على النبال ؟ ! أولئك أعدائي ، والمداوة الأثيمة تستبيح كل قبيح

ولكن ما ذنبي عند ليلى حتى تفضحني بين قومي وتضيع مستقبلي في مداواة الملاح ؟

ما ذنبي عند ليلى التي هجرت في سبيلها وطني وأهلي ؟

ما ذنبي عند ليلى ؟ ما ذنبي عند عيونها السود وخدها الأسيل ؟

ما ذنبي عند ثناياها العِذاب وصوتها الرخيم ؟

أحبك يا ليلى وأستعذب في هواك كل عذاب

— ظمياء ، ظمياء

— عيوني ، عيوني

— هاتي التهم الثقال التي تفضلتْ بها ليلاي . اقتليها بترفق فما أحب أن أموت في بغداد ، فمقابرها مهجورة منسيّة ، كأنها مقابر المجبين ، وليس فيها مسجد أستروح بأن يصلّى عليّ فيه يوم أموت ، فمساجدها تعرف الجمال في القباب وتجهل الجمال في المحاريب

— أعرني أذنيك يا دكتور

— أعرتك قلبي ، يا ظمياء

— أنت متهم عند ليلى بالشيوعية

— بالشيوعية ؟ وكيف سكتت عني إذاً حكومة العراق ، وبصرها أحدّ من بصر ليلى ولها عيون تنقل إليها كل شيء ؟

— حكومة العراق تحارب الشيوعية الاقتصادية ، وأنت متهم بالشيوعية الوجدانية ، وليلى تعاقب على ذلك

— وأين شواهد هذا الاتهام الفظيع ؟

— ما ظلمتك ليلى ، وإنما ظلمت نفسك ، فأنت الذي تقول

أصْباكَ ما خلفَ الستار وإنما خَلْفَ الستائر لؤلؤ مكنونُ
والناس في غفلاتهم لم يعلموا أني بكل حسانهم مفتون

— ما قلت هذا الشعر يا ظمياء

— هو في ديوانك المطبوع

— هذا شعر دسه السفهاء

— وكيف سمحت بنشره في ديوانك ؟

— ماأذكر كيف سمحت ، فقد كنت عضواً في جمعية أبوللون ، وأرادت الجمعية أن تصحح انتسابي إلى الشعراء فلفقت باسمي طائفة من الأشعار وأخرجتها في ديوان

— ولكن ليلى تقول إن في نثرك ما يؤيد هذا المعنى

— وكيف ؟

— في بعض ما نشرت في جريدة البلاغ مقال تقول فيه إن الأطلال تملأ روحك بالمعاني لأنها تعيد إلى خيالك تاريخها القديم يوم كانت ملاعب تمرح فيها الظباء

— هذا أيضاً مدسوس

— وكيف ؟

— كان لي بجريدة البلاغ زميل يعطف على أدبي ، هو الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني ، وكان يؤذيه أن تخلو مقالاتي من المعاني الوجدانية ، فكان يضع اسمي على بعض ما يبدع من صور الوجدان

— أنت تسيء الدفاع عن نفسك يا دكتور

— دليني كيف أدافع عن نفسي ، يا ظمياء ؟

— أما تعرف كيف تدافع عن نفسك ؟ أنا ألقنك الدفاع عن نفسك . قل إنك تعشق جميع الصور وتهيم بجميع المعاني

— هاتي يدك أقبلها ياظمياء

— أعجبك كلامي ؟

— ما هذا كلاماً ، إن هو إلا سحر مبين ، فأنا حقاً أعشق جميع الصور وأهيم بجميع المعاني ؛ وظواهر الوجود هي عندي صور شعرية تموج بألوان السحر والفتون . الدنيا يا ظمياء لوحة فنية صاغها بديع الأرض والسموات ، فما فيها من حسن فهو صنع فنان ، وما فيها من قبح فهو صُنْع فنّان ، فأنا أدرس المحاسن والمساوي بذوق واحد . وقد أتفلسف يا ظمياء فأزعم أن خَلْق الوجه الدميم أصعب من خلق الوجه الوسيم . وعلى أهل الدمامة أن يشكروا خالقهم فقد سوّاهم بعناية ، ثم تلطف فأباحهم التقلب في بقاع الأرض ، وجعل لهم في دولة القبح سلطاناً . فان لم يشكر هؤلاء القِباح خالقهم فسأشكره بالنيابة عنهم ، وسأتصدق عليهم بالعطف والحنان

— دكتور ، أنا أحبك !

— وأنا أبغضك يا ظمياء !

— أقول لليلى إنك أحسنت الدفاع عن اتهامك بالشيوعية في الحب ؟

— ما تهمني ليلى ، وإنما يهمني أن أحاسب خالق ليلى

— احترس يا دكتور ، فهذا كفران

— سأحاسب ربي قبل أن يحاسبني ، فما قضيت شبابي في دراسة الأدب والفلسفة إلا لأعرف كيف أناقشه الحساب ، وسوف تنظرين

— كفرت ، يا دكتور ، كفرت

— الكفر الحق هو أجمل صورة للايمان الحق

— وكيف ؟

— ما تعرفين كيف وأنت وصيفة ليلى وخدينة الدكتور مبارك ؟

— لست خدينتك

العفو ! العفو ! يا ظمياء

— تشتمني يا دكتور ؟

— إنما أداعبك يا ظمياء ، فاغفري ذنبي

— يغفر الله لك

— ويغفر الحب ؟

— أسأل ليلاك

— غضبة الله ولعنة الحب على ليلاى !

***

— ظمياء !

— عيونى !

— تلك التهمة الأولى ، فأين التهمة الثانية ؟

— ليلى تتهمك بما اتهمتْ به الضابط عبد الحسيب

— وكيف اتهمت ذلك المسكين الذى سارت أخبار شقائه مسير الأمثال ؟

— اتهمته بخيانة العروبة

— وهي تتهمنى بخيانة العروبة وقد أذْوَيت شبابى فى خدمة لغة القرآن ؟ ؟

— إن ليلى قرأت خطبتك فى نادى المثنَّى عن العروبة المصرية وقد نشرتها جريدة البلاد

— وما الذى عابته ليلى على تلك الخطبة ؟

— العيب فى ذلك أنكم فى مصر لا تفرقون بين العروبة وبين الإسلام

— هذا صحيح يا ظمياء

— وهذه جريمة عربية يا دكتور

— اسمعى يا ظمياء ، ثم بلغى ليلى ما أقول . العروبة يا طفلتى الغالية فى حاجة إلى أسناد قوية من الصداقة والعطف ، وأسناد العروبة لن تكون فى الممالك الأوربية ، وإنما ننشدها فى الممالك الاسلامية ؛ والسياسى الحكيم هو الذى يتعب في خلق الأصدقاء ، والأمبراطورية البريطانية لم تغنها جيوش البر والبحر والهواء عن التفكير فى خلق الأصدقاء . والاسلام قوة يتودد إليها هتلر وموسولينى ، وتشتى روما ولندن وباريس وبرلين فى التعرف إلى مدارج هواه ، وليس فى بلاد الله قوة سياسية إلا وهى تحسب ألف حساب لغضب المصحف فما ذنبي عند ليلى إذا أعلنتُ إسلامى ؟ ما ذنبي عند ليلى وأنا أخلق لقوى وقومها جيوشاً من العواطف والقلوب ؟

— ولكن الاسلام غير العروبة

— تلك ياظمياء دسيسة استعماريه ، هى دسيسة حيكتْ شباكها لتقويض الأمبراطورية العثمانية . وقد تقوضت لأن الأتراك عجزت حيلتهم عن قرض خيوط تلك السياسة ، فهم اليوم أمة من الأمم ، وكانوا بفضل الاسلام سادة المشرقين

— إحترس يادكتور فهذه سياسة ، والسياسة محرمة على الموظف

أعترف أنى موظف فى حكومة العراق ، ولكن لاخوف . فأنا أتهيب الشر فى كل أرض ، إلا فى العراق ؛ وأعتقد أن حكومة العراق لا تصادر حرية الرأى إلا إذا صدرت عن المنافقين ؛ وقد حمانى الله من النفاق . وقد عجب ناس من أن تسكت عنى حكومة العراق على كثرة ما قلبت من وجوه الآراء فى الصحف والمجلات . فليفهم الدساسون أن حكومة العراق فوق ما يظنون ، والله من وراء الدساسين محيط ، وسوف يعلمون

— إن العراق يثق بك ويعطف عليك يادكتور

— وفى حماية تلك الثقة وذلك العطف أقول : إن أوروبا اللئيمة خلقت فكرة العروبة لتقسم أهل الشرق إلى عرب ومسلمين ، وقد أحسست هذا المعنى حين بدأت أتعلم اللغة الفارسية فى باريس سنة ١٩٢٧ فقد رأيت معجما فارسيا فرنسيا نشر منذ أكثر من أربعين سنة وفى مقدمته تحريض صريح على قطع الصلات بين العرب والفُـرس ؛ وأعتقد أن مقدمة ذلك المعجم هى السبب فى ثورة الأتراك والايرانيين على الحروف العربية

— أخطأ الأتراك وسيخطىء الايرانيون

— وماذا صنعنا لدفع هذا الخطأ ياظمياء ؟ لقد تجشمت مشيخة الأزهر ما تجشمتْ وأنفقت ما أنفقتْ ، لترسل بعثة من العلماء إلى الهند ، فهل فكرت هذه المشيخة فى إرسال بعثة إلى تركيا أو إيران ؟ هل فكرت مشيخة الأزهر فى إرسال رجل أو رجلين لتذكير الفرس بماضيهم فى خدمة اللغة العربية ؟ هل فكرت فى إرسال وفد إلى الغازى مصطفى كمال يذكره بأن الحقد على العرب الذين خذلوا تركيا فى الحرب لا يصح أن ينسيه فضل العرب الأبرار الذين نقلوا إلى تركيا بذور الايمان بالله والرسول ؟

هل قام رجل مؤمن يقول للأتراك : هبوا سيئات الحاضر لحسنات الماضي ؟

هل قام رجل مؤمن يقول لأهل إيران : إن العرب إخوانكم فى الله فلا تجرحوا إحساسهم بهجر الحروف العربية ؟

لقد قمت بهذا الواجب وحدى فأقنعت وزيرين فى العراق ، وفكرتُ فى الهجرة إلى إيران لأصلح ذات البين بين العرب والفرس . لكن كيف وأنا رجل يرهقه جدول الدروس وتنهب عافيته دفاتر التلاميذ ؟

لقد زار بغداد منذ أشهر صحفى إيرانى ودعانى الأستاذ ابراهيم حلمى للتسليم عليه ، فلم أستطع مخاطبته بغير الفرنسية ، مع أنه نشأ فى وطن كان بعض أهله لا يعرفون غير العربية ، ولذلك الصحفى جريدة تصدر بلغتين هما الفارسية والفرنسية ، ولو كنا حفظنا العهد لكانت اللغه الثانية عربية لا فرنسية

— يظهر أنك مؤمن يا دكتور

— أنا ملحد يا ظمياء ، فما يسرنى أبداً أن أحشر نفسي فى زمرة المسلمين الغافلين الذين يفكرون فى إصلاح الوثنية الهندية ويغفلون عن هداية الثائرين على الاسلام في بلاد كانت من الدرر اللوامع فى تاج الاسلام

— أنت مؤمن يا دكتور

— أنا كافر يا ظمياء

— أعوذ بالله !

— وأنا أعوذ بالشيطان !

— تعوذ بالشيطان ؟ يظهر أنك ملحد حقاً وصدقاً

— اسمعى يا ظمياء ، الشيطان مخلوق شريف لأنه لا ينافق ، فهو يعلن في كل وقت أنه من الضالين المضلين ، ولو كشف كل انسان عن سريرته كما كشف الشيطان عن سريرته لأصبحنا جميعاً من الملائكة لا من الشياطين

— أنت إذاً تعبد الشيطان ؟

— أنا أعبد الله وأحب الشيطان

— قف عند هذا الحد يا دكتور

— سمعت وأطعت

« للحديث شجون » زكى مبارك

التاريخ فى سير أبطاله

ابراهام لنكولن

هدية الأحراج الى عالم المدنية

للأستاذ محمود الخفيف

يا شباب الوادى ! خذوا معانى العظمة فى نسقها الأعلى من سيرة هذا العصامى العظيم ....

— ١٤ —

وثمت حادثة أخرى لها دلالتها على عظمة الرجل ونبله وسمو نفسه ؛ ذلك أنه تقدم عن طيب خاطر ليدافع عن حفيد كارترايت ذلك الرجل الذى طعنه فى دينه قبل ذلك بعشرين عاماً وهو ينافسه فى الوصول إلى مقعد فى مجلس الولاية ؛ وكانت هذه التهمة أيضاً تهمة القتل ؛ ولشد ما تأثر كارترايت وهو اليوم شيخ كبير حينما شاهد حرارة دفاع خصمه لنكولن عن حفيده الذى ما لبث أن برئت ساحته ...

وأى شيء لعمرى أجمل من هذا ؟ ألا إنه الخلق العظيم يبهج جماله النفوس ويملك طيبة الأفئدة، إن للناس فيه لقدوة أى قدوة، وإن لهم فى صاحبه لأسوة لن يتسنى لهم مثلها إلا فى الأفذاذ القليلين الذين ظهروا فى هذا الوجود برهاناً على أنه ثمة من صلة بين هذه الأرض وبين السماء !

وندير الحديث بعد إلى السياسة فنذكر أن المؤتمر الذى انعقد من الجمهوريين فى سبرنجفيلد عام ١٨٥٨ لترشيح عضو عن الولاية لمجلس الشيوخ قد اجتمعت كلمة رجاله على ترشيح لنكولن ، ولقد فعلوا ذلك فى غبطة وفى حماسة شديدتين

وهكذا اتفقت كلمة الجمهوريين على لنكولن يقدمونه لينافس دوجلاس رجل الديموقراطيين فى الانتخاب لمجلس الشيوخ ؛ فيلتقى بذلك الخصمان ويكون بينهما هذه المرة جلاد دونه كل ما سلف من جلاد ؛ وينتهى الصراع بينهما فاذا دوجلاس يرى نفسه وقد ابتعد عن الهدف بقدر ما اقترب منه ابن الأحراج، ثم إذا هو يفطن إلى طمنة سوف تحول بينه وبين غايته المرجوة فلا يظفر بها أبداً ...

وعرف لنكولن مبلغ ما ينطوى عليه الموقف من خطر ، وأدرك أنه ملاق منه رهقاً شديداً وعنتاً . ولكنه يحس فى قرارة نفسه أن له فى ذلك ما يشفى نفسه ، فهو يحمى على الصراع وهو لا تظهر مواهبه على أحسن ماتظهر إلا حين يبتعثها ضجيج الموقف وتستثيرها حرارة الدفاع

وكذلك أشفق دوجلاس وأوجس فى نفسه خيفة ، ولقد فطن وهو الخبير بأقدار الرجال ، البصير بأمور السياسة ، إلى دقة الموقف . وأدرك أن ابراهام اليوم غيره بالأمس ، فهو منه إذ ذاك حيال قوة لا تنفع معها حيلة ولا يجد فى مكر أو دهاء ، قوة منشأها عقيدة صقلتها الأيام ووثقتها التجارب وأمدتها الفطرة بمثل ما تمد به التربة الصالحة الشجرة الطيبة من الغذاء الصالح ؛ فليس ثمت مايحول بينها وبين امتداد الجذور وسموق الفرع . وكأنما كانت مارى يوم فضلت لنكولن على منافسه ورضيت به زوجاً ، تطلع على الغيب فترى هذا الصراع بين الرجلين ثم تصدر حكمها على هدي وبصيرة وعلى تجربة لا تدع مجالاً لوهم !

وهل كان انتخاب إبراهام لمجلس الشيوخ هو غاية ما يتمناه ؟ كلا فما أهون هذا الأمر إذا قيس إلى ما كانت تجيش به نفسه من آمال لم يكن يراها وقفاً على نفسه بل كان يراها لصالح غيره ؛ وهو لن يشعر لها بقيمة أو خطر إلا أن يتسع مداها حتى يشمل أمريكا كلها ؛ بل إنه ليرى رضاء نفسه فى أن يشقى ليسعد بنو جنسه ...

لذلك لم يكن عجباً أن يسير كما تملى عليه مبادئه وكما يوحى إليه قلبه ، لا كما يتطلبه الانتخاب من محاورات ومداورات وألاعيب وأكاذيب ومرونة وليونة وغير ذلك مما يتذرع به الكثيرون من أصحاب السياسة حين يجعلون غرضهم النجاح فى المعركة فحسب . وما كان إبراهام يرى فى الوصول إلى مقعد فى الشيوخ إلا إحدى الوسائل لتحقيق غرضه الأسمى وذلك كما محصته الأيام هو حل معضلة العبيد مع المحافظة على كيان الاتحاد

وفيما كان رجال حزبه يقدمونه ، كان هو يعد خطاباً حاسماً يعبر به عما فى نفسه ، ولقد ظل يثبت ما يجرى فى باله على قصاصات من الورق يدسها فى قبعته ، حتى استوى له موضوعه فجمعه بعضه إلى بعض ولم يفض به إلى بعض خلصائه إلا قبل إلقائه ببضع ساعات ؛ ولقد أخذهم الدهش لما جاء فيه حتى أنه لم ير رأيه منهم سوى صديقه هرندون ؛ ولكن لنكولن كان إذا صمم على أمر لن يلويه عنه شيء فقال لهم « أى أصدقائى : إن هذا الشيء قد أجل مدة طويلة أرى فيها الكفاية ؛ ولقد حان الوقت الذي ينبغي فيه أن أنطق بهاتيكم العواطف ، فاذا قدر لى أن يكون مصيرى السقوط بسبب هذا الخطاب فلأسقطن مربوطاً إلى الصدق ؛ دعونى ألق حتفى فى الدفاع عما أرى أنه العدل والحق ... »

ولما انعقد ذلك المؤتمر الجمهورى الذى كان ينتخب عضو الشيوخ قام فيهم لنكولن يلقى خطابه فقال : « حضرة الرئيس ، حضرات السادة رجال المؤتمر : إذا استطعنا بادئ ذي بدء أن نعلم أين نحن وإلى أى وجهة ، أمكننا أن نعرف ماذا نصنع وكيف نصنعه . إننا الآن بعد خمسة أعوام منذ تلك السياسة التى اتبعت مع وجود ذلك الوعد الوثيق الذى قصد به أن يوضع حد لذلك القلق الذى تبعثه مسألة العبيد ، ولكن هذا القلق طالما أخذت تلك السياسة تفعل فعلها لم يقتصر أمره على أنه لم يوقف فحسب ، بل لقد ظل يتزايد أبداً ؛ وفى رأيى أنه لن ينتهي حتى يفضى بنا إلى أزمة نجتازها . إن البيت الذى ينقسم بعضه على بعض لن يقوم ؛ إنى أعتقد أن هذه الحكومة لا يمكنها أن تدوم ونصفها عبيد والنصف الآخر أحرار ، وأنا لا أبغى أن تنفصم عرى الاتحاد كما لا أبغى أن ينهار البيت ، ولكنى أبغى ألا يستمر فى انقسامه ؛ ولسوف يكون كله إلى هذا الجانب أو إلى ذاك ؛ فأما أن يحول خصوم العبودية دون أى انتشار لها فى المستقبل ويضعوها حيث يرتاح الرأى العام إلى أنها وضعت فى الموضع الذى يفضى بها إلى الفناء النهائى ، وإما أن يدفعها أنصارها إلى الأمام بحيث تصير قانونية فى كل الولايات القديم منها والحديد والشمالى والجنوبى »

ذلك هو الخطاب الذى أفضى به لنكولن إلى رجال المؤتمر فى صراحة وجلاء ؛ ولقد أشفق أنصاره من لهجته الحاسمة ثم من تلك العبارة التى اقتبسها من الانجيل وخافوا أن يحملها خصومه على غير محملها فيظنون وهو يريد بالبيت المنقسم على نفسه الولايات الأمريكية أنه يشير إلى قطع العقدة لا حلها وأن سبيله إلى ذلك الحرب ...

وكان دوجلاس قد نزل بشيكاغو يدعو إلى انتخابه للشيوخ ، فوجد فى خطاب خصمه ومنافسه ، لنكولن ، فرصة يغتنمها فاتهمه أنه من دعاة التحرير بالقوة وأخذ يحذر الناس من انتخابه

واغتاظ لنكولن لتلك التهمة النكراء ، ولكنه لم يستكثرها على دوجلاس ، وإنه لواثق أن الأيام ستقذف بحقه على باطل خصمه فيدفمه فاذا هو زاهق

وما كان إبراهام ممن يقرون الثورة مهما بلغ من مقته لنظام العبيد ، ولسوف يبقى دستوره هو حل تلك المسألة بما يتفق مع الصالح العام على أن يكون ذلك في كنف الاتحاد وتحت رايته التي لا يرضى إلا أن تظل خافقة عالية تجمع على محبتها وإكبارها أبناء الوطن كله

وعول دوجلاس أن يخوض المركة على أساس خصومته لبيوكانون فى مسألة دستور كنساس ، لا على أساس مخاصمته لنكولن أو مخالفته فيما جاء فى خطابه الجديد من أراء كأنه يستعظم أن يكون ذلك الرجل الذى ما زال شأنه منحصراً فى ولايته نداً له ؛ وإن كان دوجلاس ليحس بينه وبين نفسه مبلغ ما تنطوى عليه نفس الرجل من عظمة ومبلغ ما يحمله قلبه من إيمان

ولقد شاع خطابه فى الناس وتناقلته الصحف فى طول البلاد وعرضها ، فكان ذلك أبلغ رد على ترفع دوجلاس وذهابه بنفسه ؛ وأحس إبراهام مبلغ ما أحدثه ذلك الخطاب من أثر فى البلاد ، تبين ذلك فى قوله : « إذا كان لى أن أمر بالقلم على صفحات تاريخى ، وأمحو حياتى كلها عن الأنظار ؛ وقد ترك لى أن أختار شيئاً أستثنيه من هذا المحو فانى أختار هذا الخطاب فأدعه للعالم لم تذهب معالمه

وليس فى قوله هذا شىء من المغالاة ، فان خطابه كان أكبر حافز لأولى الرأى أن يقفوا من مسألة العبيد موقف الذى يريد أن يصل إلى غاية ، فلا تهاون ولا تلكؤ بعد اليوم ، وإلا تفاقم الخطب واستعصي الحل ، ودخلت البلاد فى طور من الفوضى الجامحة فيأتى على الأخضر واليابس ؛ كما أن هذا الخطاب كان أهم حادث فى تاريخ حياته فبعده صار للسياسة كل همه ، وبه قدر له أن يصير فى السياسة من رجال أمريكا كلها لا من رجال الينواس فحسب ...

ولقد خطب لنكولن بعدها في شيكاغو يرد على ما اتهمه به دوجلاس ؛ فأعلن أن الوثيقة الكبرى التى يجب أن يتقيد بها الأمريكيون ويسيروا على نهجها هى وثيقة إعلان الاستقلال وأنه يجب أن ينظر إلى مسألة العبيد نظرة إنسانية ، وأن يراعى اتفاق مسورى فيما يشجر بين الفريقين من خلاف

وتكلم دوجلاس بعد ذلك فى بلومنجتن ثم فى سبر نجفيلد، ورد لنكولن عليه فى المرتين ، حتى بدا له فخطا خطوة لم يسبقه إلى مثلها رجل من قبله فى التاريخ السياسى للبلاد ، وذلك أنه أرسل إلى دوجلاس رسولاً يعلن إليه أنه يتحداه أن يلتقى رأياه فى مبارزة خطابية يستمع فيها الناس إليهما ويحكموا بينهما حسبايرون من كلامهما ...

ولقد ضاق دوجلاس بهذا التحدي وهو الذى يعرف أصالة صاحبه وشدة إيمانه ذلك الايمان الذي رسخ حتى ما يحتال عليه بحيلة أو تزعزعه مطاولة أو يفل منه جاه أو إغراء ، والذى جعل كل وسيلة من وسائل المغالبة بحيث تكون منه كالموج من الصخر لايلطمه إلا لينحسر عنه ولم يبق فيه من قوة الموج بشىء وأبى على دوجلاس كبرياءه وغلواؤه أن يتخاذل فيتخلف عن هذا النزال فقبله على كره منه قال : « سوف تصبح يداى مليئة ؛ إنه رجل حزبه ذو البأس ؛ ملؤه الذكاء والحقائق والتواريخ ... وهو أمين بقدر ما هو أريب حذر ، وإذا قدر لى أن أظهر عليه فسوف يكون انتصارى بشق النفس » وقال فى موضع آخر « إنى لا أحس — بيني وبينك — إنى أرغب فى الذهاب إلى هذا الجدال ؛ إن البلاد كلها تعرفني ولقد سبق أن قدرتنى وعرفت قدرى ؛ وأن لنكولن بالنسبة لي ليعد غير معروف ، فاذا أتيح له أن ينتصر عليّ فى هذا الجدل — وإني لأود أن أذكر أنه أقدر رجل فى الحزب الجمهورى — فانه يكسب كل شىء بينما أخسر أنا كل شىء ؛ أما إذا قدر لي الفوز فانى لن أغنم إلا قليلا ؛ إنى لا أحب أن أذهب فى تلك المجادلة معه ... »

ولكنه على الرغم من ذلك لم يستطع إلا أن يجيبه إلى ماطلب ؛ وحددت سبع مدن يلتقى فيها الرجلان فيتناظران والناس من حولها يشهدون ما يكون بينهما . وفرح لنكولن وقد أتيحت له أعظم فرصة ليعبر عما فى نفسه ؛ وأى فرصة هي ؟ ألم يك دوجلاس فى الناس أكثرهم استفزازاً له وأدعاهم أن يبرز له ما استكن من مواهبه ؟ ثم أليست هذه المجادلة كفيلة أن تجمع إلى أنصاره ومحبيه أنصار دوجلاس ومحبيه فيكون الكلام فى حشد قلما يتسنى أن يلتقى على هذه الصورة ؟ فاذا قدر له أن يكسب هذه القلوب أو أن يصل إلى إقناع هذه العقول فأى فوز هو وأى فخر ؟

« يتبع »

الخفيف

الأنبـــاط

وأطلال بترا الخالدة

للأستاذ خليل جمعة الطوال

— ٢ —

ديانة الأنباط

لقد كان للأنباط ديانة مستقلة ، لها آلهتها العديدون ، وطقوسها الخاصة . وتدل النقوش والكتابات النبطية المكتشفة على الهياكل والآثار العديدة فى بترا على أن الأنباط كانوا يعبدون الحية وبعض الأجرام السماوية . ففى طريق النبى هارون (الواقع بجوار بترا) لا يزال أثر الحية قائماً حتى اليوم بشكلها المخيف ورأسها المتفرع ، وفى كثير من المعابد والمقابر ، كأم الصناديق والصياغ وقبر الحديقة — وهى من آثار بترا الرائعة — رسوم عدة للثعابين والنجوم وما إليها . وقد وجد على بعض المعابد النبطية ، فى حوران ، تماثيل وأسماء لآلهة كثيرة ، كاموس ، وأنى ، وبعلمين ، وفقرة وثيندارتيس اليونانى ، وآليت . أما أشهر هذه الآلهة فهو الإله (ديشوره [1]) إله الشمس ، وواهب السرور والخصب ؛ وهو عبارة عن حجر صخرى أسود طوله أربعة أقدام ومقعده قدمان ، ولا يزال موجوداً حتى الآن فى مزار النبى هارون ؛ والبدو هناك يحيطونه بكثير من التقديس والاكرام ، ويعتقدون فيه القوة على شفاء بعض الأسقام . ويقدر المستر جون وايتنج ثمن البخور الذى كان يحرق فى بترا فى المراسيم الدينية بعشرة آلاف جنيه فلسطينى ، وهى قيمة وإن كان فى تصديقها مجال كبير للافتراض والشك ، إلا أنها تدل على مقدار تغلغل الروح الدينية بين الأنباط . وذكر المستر . أدم سمث فى مؤلفه الجغرافية التاريخية للأرض المقدسة ص ٦٢٨ : أنه قد بلغ من قيمة هذا الإله (ديشوره) أن أقيم له نصبان أحدهما فى روما والآخر فى بوتيولى

(١) راجع: Robinson; Sarcophagus of ow etncient Civilization: P.P. 81, 104 & 232.

سيادة بترا التجارية

تقع بترا بحكم موقعها الجغرافى فى نقطة تجارية عظيمة ، وقد كانت حتى منتصف القرن الأول للميلاد نقطة التوريد والتصدير لمختلف البضائع الشرقية ، ومركزاً لتبادل المتاجر المختلفة التى كانت تمر بها سائرة بين الجزء الجنوبى لجزيرة العرب ، والهند ، ومصر ، وتدمر ، وفلسطين . ولما قدم إليها الأنباط وسكنوها سعوا إلى تحسينها وترقيتها ، فبنوا فيها القلاع والأبراج والمعابد والأسواق ، والمدارج الرائعة ، التى لا تزال قائمة حتى اليوم دليلاً على غابر مجدها ، وسالف عزها ؛ وقد ساعدهم على ذلك ميلهم الفطري لنقل المتاجر على قوافلهم ، وقلة المنافسين لهم ، وتفرع طرق تجارية عظيمه بين عاصمتهم وبين سائر الأقطار الأخرى ، فقد ذكر (موزل) فى كتابه الصحراء العربية ص ٥١٥ : أنه كان يوجد طريق معبد بين تدمر وبطرا ، وأخرى بين بطرا وغزة إلا أن اشتطاط الأنباط فى الأجور الغالية التى كانوا يتقاضونها على النقل ، وكثرة المصارفات التى كانوا يرهقون بها المتاجر التى ينقلونها ، قد حدت بالناس إلى التفتيش عن طريق آخر لحمل البضائع الهندية ، فقامت بذلك تدمر وازدهرت حيناً من الزمن حتى عام ٢٧٣م . على حين تقهقرت حالة بترا التجارية الاقتصادية تقهقراً عظيماً . وفى عام ٤٥ م اهتدى هبالوس إلى طريقة الاستفادة من فعل الرياح الموسمية فى تسيير السفن ، فقل بذلك شأن الطرق البرية عامة ، وطريق بترا خاصة ، وقد كان ذلك نهاية لعصر بترا الذهبى

أسماء بترا التاريخية

يغلب على الظن أن أول من دعا بترا بهذا الاسم هم الرومان ؛ وذلك لأنها منحوتة فى الصخر الأصم ، ومعناه باللغة العربية « المدينة الحجرية » . وذكرتها التوراة فى سفر الملوك الاصحاح الرابع عشر ، والعدد السابع باسم (سالع) وفى اللغة العبرية باسم (سلاع) كما ذكرت أيضاً أن أمصيا ملك يهوذا قد هجم على الآدوميين فى وادى الملح وذبح منهم عشرة آلاف رجل وأنه زحف على سالع (بترا) واحتلها ودعاها « يوقتئيل » . وذكر المؤرخ جورجى زيدان فى كتابه « تاريخ العرب قبل الاسلام »

نقلاً عن المقدسي والمقريزي: أن من أسمائها المشهورة عند العرب « الرقيم » . وقد جاء ذكرها أيضاً في القرآن الشريف في سورة الكهف . وذكر المستر باري في كتابه « التاريخ الروماني المدرسي » ص ٤٩٧ : أن الامبراطور هادريان قد زار بترا عام ١٢٩ م ، وأنها دعيت بهذا الاسم تخليداً لذكراه ، كما ذكر أيضاً أنه أمر بسك نقود جديدة باسم بترا الجديد ، وقد نقش عليها (هادريان متروبولس)

موقعها وأطلالها :

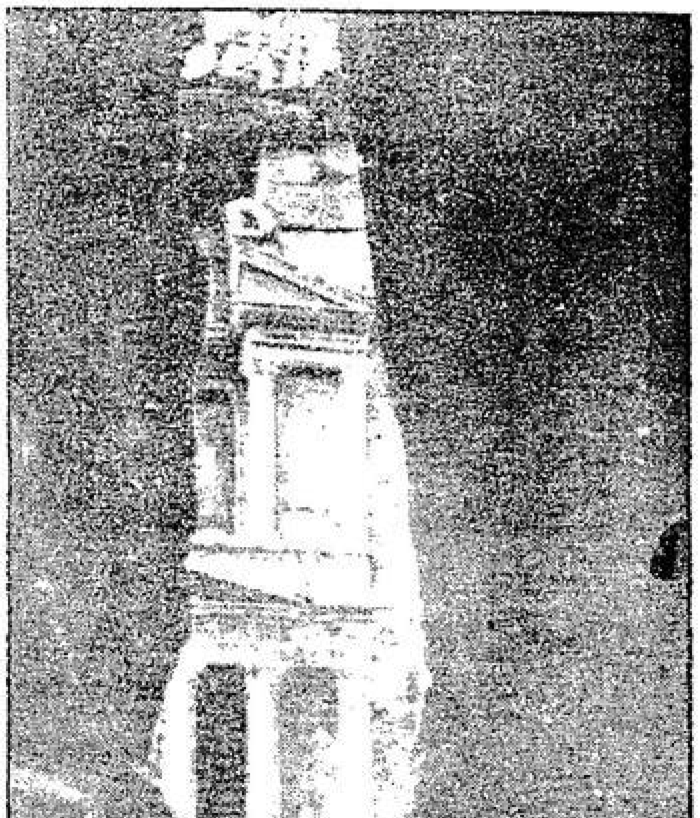
تقع بترا في الشمال الغربي من معان ، وعلى بعد ٢٦٠ كم من عمان عاصمة الامارة الأردنية ، وهي طريق صالحة لسير السيارات في حين الجفاف وانقطاع الأمطار الغزيرة حتى قرية وادي موسى التي تبعد عن بترا مسافة كيلو مترين ونصف كيلو متر ؛ وهي قرية صغيرة يعتني أهلها بتربية الدواجن ولا سيما الخيل والبغال والحمير ، التي يستفيدون منها في موسم السياح ، وفيها نبع ماء غزير يستقي منه أهلها ويستفيدون منه في زراعة بعض الخضر والحبوب . ويعتقد البدو الضاربون هناك أن النبي موسى قدم بهذه القرية ابان خروجه من مصر يقود اثني عشر سبطاً من أسباط بني اسرائيل ؛ وإذ كان العطش قد اشتد بهم فقد أمر بنحر ما معهم من الابل والنوق ، وبفرى أكراشها وشرب ما في داخلها من الماء ، ولكن ذلك [1] لم ينقع غلتهم ، فكثر تذمرهم عليه ، وعلا لغطهم ، فركع وصلى لله [2] ، ثم انتصب وضرب بعصاه صخراً أصم كان إلى جانبه فتفجر منه ماء عذب زلال ، ودعى ذلك المكان بعين موسى . والبدو عامة يقدسون هذه العين ، ويعتقدون ان روح النبي موسى تقطن بجوارها وتحوم حولها دائماً وأبداً ، ولذلك أقاموا عليها قبواً صغيراً يلجأون اليه كلما انتابتهم آفة ، أو حزبهم مكروه ، لاعتقادهم أن روح النبي القاطنة حوله تشفيهم من أسقامهم ، وتسهل عليهم مشكلاتهم ومعضلاتهم . وكثيراً ما يحرقون داخل هذا القبو مقادير عظيمة من البخور ، وعرق الند الزكي الأرج ، ويضيئونه بمصابيح فخارية ، وزيت الزيتون الطيب النقي ، وذلك إجلالاً لروح النبي كليم الله . وقد حدثني بعضهم أنه في كل عام ينحر في هذا المكان ذبيحة أو أكثر ، ضحية عن موتاه ، وتقرباً إلى النبي في يوم تقوم فيه القيامة وينتصب الميزان . وتبعد هذه العين عن القرية مسافة ميل ونصف تقريباً . وتحيط بوادي موسى الحقول النضرة ، والحدائق الجميلة ، من جميع جهاتها . ومما يزيد في جمالها الأخاذ انبساط أطلال بترا أمامها ، تلك الاطلال الجميلة التي كأنما فرغ من زخرفتها الدهان بالامس . وأي منظر أبدع وأجمل ، وأكثر رونقاً وبهاء من أن يستقبل الانسان منظر هذه الطلول المبثوثة المنضدة أمام وادي موسى في اتساق غريب وبديع تحار فيه العقول ! هناك تقع الغزالة بأشعتها الذهبية أول ما تقع على أجمل وأبدع هيكل طبيعي ، ظل قائماً ومحافظاً على استوائه طيلة هذه الأحقاب التي لم تستطع قط أن تنال منه شيئاً . قمم مشمخرة في الفضاء تنعكس عليها أشعة الشمس صباح مساء ، فترتد في شكل قوس قزح بل وأبدع منه ، ومن فوقها قبة السماء الصافية الزرقة ، وقد انبسطت تحتها حلة سندسية جميلة من الأعشاب الخضراء تنساب خلالها شعبة من الماء الضحل ، فتظهر فوقها كالحسام الصقيل فوق بساط بديع الوشي والحياكة تحوم فوقه أسراب الطيور البديعة الألوان ، المختلفة الحجوم ، الساحرة التغريد . إن منظر بترا من وادي موسى لمن المرئيات الجميلة التي تتوثب لها أحاسيس الحيوان الاعجم الهامد الشعور ، فكيف بفعلها في الانسان ذي الخيال المتوثب ، والاحساس المتيقظ ، والشعور المرهف ؟ وإن زورة هذه الأطلال الخالدة لأسنى ذخيرة يقدمها الشاعر إلى خياله ، والأديب إلى أدبه ، والرسام إلى فنه ، والعالم إلى سجله ومذكراته

يخرج السائح من وادي موسى ممتطيا فرساً يقودها دليل بدوي ماهر في حفظ الأسماء والمسميات ، ذكي يفهم من الاشارة الموجزة ؛ فيشاهد بعد مسير نصف ساعة قبور (بيلون العظيمة) وهي في طليعة الآثار ، وتتركب من حجر عديدة تزينها الأعمدة الجميلة المحفورة في الصخر الرملي الجميل ، والمسلات (المصرية الهندسة) الضخمة المدهشة ، تقوم بينها طائفة من التماثيل الفنية التي ما تزال

(١) لا نعتقد بصحة ذلك لأن موسى خرج من مصر بأسباطه فقط وبدون ابل ، ولأن الطريق التي سلكها ما تزال موضع الحدس والتخمين

(٢) راجع : Petra : by F. Atrash.

على روعتها وجمالها كأنما هي من عمل اليوم ؛ لم تشهد من الزمان احداثاً ، ولا من الأيام عبثاً ودولاً . ومما هو جدير بالذكر والمشاهدة عند زيارة هذه القبور مشاهدة صورة الحية الجميلة الرائعة التي تبلغ ثلاثة عشر متراً طولاً ، والتي يتفرع من عنقها سبعة رؤوس فاغرة الأشداق حتى لكأنما قد رتبت لازدراد فريسة سائغة . وصورة أخرى تمثل جواداً ، وقد شد عليه سرجه وقرط لجامه ، وامتطى صهوته فارس لم تبق الأيام من هيكله الرملي سوى بعض أطراف رأسه المهشم وأصابع قدمه المبتورة



شكل (١) باب السيق وفي آخره المعبد

السيق

ويبعد عن قبور بيلون مسافة ١٥٠ متراً تقريباً ، وهو نفق يخترق جبلين رمليين عظيمين ، كثير المنعطفات والتعاريج ، يبلغ أقصى اتساعه أحد عشر متراً ، وقد يضيق في بعض الأماكن حتى لا يكاد يتجاوز الأربعة أمتار ، وبالرغم من وعورة هذا النفق فان خيول وادي موسى لاعتيادها عليه تسير فيه بكل سهولة . يبلغ طوله ميلاً وبعض الميل ؛ والراجح أنه كان مرصوفاً بالبلاط الرملي الجميل الذي لا يزال مطموراً تحت كثبان الرمال ورواسب المياه المتدفقة ، التي كانت تخترقه مارة من وادي موسى ، حتى تصب في وادي العربة . وحوالي عام ٥٠ ق . م . عند ما بنى الرومانيون معبد إيزيس في نهاية السيق (أنظر شكل ١) حولوا عنه مجرى الماء إلى أقنية فخارية رملية تمتد على جانبي السيق ، على طول كل من الجبلين العظيمين القائم بينهما ، وتوصل هاتان القناتان جبل خيتة بجبل الرملة ، وتوجد على امتداد كل منهما آثار جدران ضخمة متداعية ، كانت تقوم مقام السدود عند اشتداد تدفق الماء ، وعند حدوث الفيضان . ويبلغ علو كل من هذين الجبلين اللذين يخترقهما السيق نحو مائة متر تقريباً ، وينبت في وسطهما في بعض الجهات شجيرات صغيرة من الدفلي والتين البري العاقر ، ومما لا شك فيه أنهما كانا مزينين بطائفة من التماثيل البديعة التي تدل عليها مواضعها المحفورة ، والتي عبثت بها الأيام فيما عبثت من آثار بترا الرائعة . وقد كان مدخل السيق سابقاً مزيناً بالأقواس الرملية الجميلة التي تشبه شكل قوس قزح ، وبالمحاريب الشاهقة الجميلة التي لا تزال آثارها الرائعة تنطق بسالف عظمتها وغابر مجدها بدليل ما اكتشف عليها من النقوش النبطية الكثيرة ...

(يتبع)

خليل جمعة الطوال



فرنتس شوبرت

للأستاذ محمد كامل حجاج

بقية ما نشر فى العدد الماضى

وقد أثر فيه موت بيتهوفن تأثيراً عميقاً ، وما فتئ يظهر عليه البشر والحنان ، ومن هذا الوقت ظهرت قطعة المرتجلة Impromptus والأوقات الموسيقية Moments musicaux . ولكنه كانت تزيد حالته سوءاً وبؤساً من يوم لآخر ، فكان يشرب لينسى همومه ؛ ثم كتب الأربعة عشر لحناً التى يقال انهم وجدوها فى أوراق بيتهوفن ، وقد جمعت باسم « غناء البجع » أى الغناء الأخير، إذ يقولون ان هذا الطير يغنى قبل موته . وفى ٢٦ مارس سنة ١٨٢٨ أقام حفلة موسيقية من مؤلفاته لأول مرة ، فكان الإقبال عظيما جداً والدخل وافراً . ولكن صحته كانت تتدهور من وقت لآخر حتى لزم الفراش في ١١ نوفمبر ثم فاضت روحه المتألمة فى التاسع عشر منه سنة ١٨٢٨ وأصدقاؤه يحفون به، ودفن بجانب بيتهوفن . وفى سنة ١٨٨٨ نقل الاثنان إلى المقبرة المركزية بفينا بجانب موزار وجلوك

وكانت هيئة شوبرت كألمانى شريف ثقيل الحركة قليلاً، وكان ساذجاً مثل هيدن يلهو بأتفه الأشياء . له ولع شديد باجتماعات الأصدقاء التى تدار فيها كؤوس الجعة بكميات وافرة . يضع على عينيه نظارة. شعره جعد، كبير الوجه، غليظ الشفتين، ربعة ، كبير البطن. وكان متأجج الشاعرية نابغاً مبدعاً نقى القلب ملك الأغانى كما عبرت عنه مدام De Staël . ويظهر ان الحب لم يعبث بفؤاده إلا قليلا جداً . ومن صفاته المميزة انه كان ذا طبيعة سليمة كريمة مرهفة الحس لا تكمن فى باطنها شيئاً . وقد قالت أخته كاتى : « كان طيب القلب جداً يأنف من الحسد، وكان لا يكتم سروره وطربه عند سماع الموسيقى الراقية ، ويمسك بيديه رأسه ليتفرغ للاصغاء . وكان اعجابه بموزار وبيتهوفن لا حد له . وقد جرى ذكر بيتهوفن على لسانه وهو يلفظ النفس الأخير ، وهذا ما أولوه من أنه أراد أن يدفن بجانبه

كان شوبرت شاعر النفس، وقد قال عنه ليزث : «انه أكبر شعراء الموسيقى على الاطلاق » وكان اشهى مجتمع له هذا النادى الأخوى الصغير المؤثث بأفقر الأثاث ؛ وكان يرتجل فيه ألحانه الخالدة . وكانوا يسمون هذه الجلسات الرائعة «شوبرتياد» وكان النبوغ فيها ينير الشباب والصداقة . وقد قال ماير هوفر « إننى لا أنسى أبداً الساعات الهنيئة التى قضيناها فى هذا المسكن الحقير ولم يكن عندنا غير بيانو ردىء ومكتبة فقيرة وأثاث حقير ونور ضئيل ؛ وفضلا عن ذلك فانى قضيت هناك أسعد أوقات حياتى» : وجاء فى خطاب لصديقه الحميم شوبر Schober أرسله اليه فى ٢ نوفمبر سنة ١٨٢١ : « وددت لو كنت معنا لتنظر كيف تولد هذه الألحان الشجية وهى تموج بالفكر . وغرفتنا فى Saint Pollen كانت محبوبة جداً ، وبها سريران وصفة ومدفأ حار وبيانو؛ وكنا نأتي بالجعة ليلا وندخن ونتسامر فيما مر فى النهار ونطالع ؛ وحينا يحضر صوفى ونيغل نشرع فى الغناء

كانت هذه الاجتماعات الفقيرة البريئة التى تجمع أصدقاء شوبرت وهم يمرحون ويتسامرون ويغنون مؤلفاته التى كان يرتجلها تعد من أسعد أوقاته وأعظم عزاء لبؤسه وشقائه وسط قومه الذين لا يفهمون موسيقاه الساحرة ولا يقدرونها

إننا نستطيع أن نميز في مؤلفات شوبرت عدة مجموعات غنية قيمة غير متساوية فى القوة

أولا : موسيقى البيانو — ثانيا : التريو والكواتوور والكنتيت . ثالثا : السانفونى — رابعا : المؤلفات المسرحية . خامسا : أغانى الليدر . سادسا : الموسيقى الدينية .

إن موسيقاه للبيانو لجديرة بأن توضع فى صف واحد مع شومان وشوبان وستيفن هيلير وهى تشمل السوناتات والفانتيزى و Impronptus أى المرتجله . وقد كتب عشر سوناتات أشهرها

الست الأخيرة . ولا نزعم أنه جدد في الشكل شيئاً ولكنه بث فيها صفاته العادية من الحنان واسترساله في التأملات والخيالات الرقيقة العاطفية؛ وأهم ما كتب في السونات الخامسة . وهي من مقام لامينور. وأما القطع المسماة Impromptus فهي تستحق ما نالته من الشهرة والذيوع ، وفيها من المهارة الفنية السهلة ما لا يوجد عند من سبقوه من كتاب قطع البيانو . ولكن بعض مواضيع منها يؤخذ عليها أنها عادية ، وهذا يرجع إلى سرعة الكتابة والتلحين ؛ ولكن بعض هذه الهنات لا تحجب فتنتها الساحرة . إن نظرنا إليها وجدناها كالماء الصافي العميق نشاهد في قراره كل الخصال الشريفة المحبوبة التي تختلج في روح شوبرت وهذا النوع يتفاوت في الأهمية والقيمة

أما موسيقاه الخاصة بالآلات الوتريه فانه أظهر في بعضها نبوغا مدهشا، ولو طال أجله لارتفع إلى ذروة الفن كبيتهوفن. وقد ابتدأ بكتب الكواتوور وهو في الرابعة عشرة وله منها عشرون؛ وكتب كثيرا من التريو والكنتيت بعد بعضها من خير ما جادت به القرائح الجبارة ، ولاسيا ما كتبه منها سنة ١٨٢٤ وسنة ١٨٢٦ وهما الكواتوور en La mineur والذى من مقام مى مينور

ولقد ترك لنا شوبرت ثمانية سانفونيات الأولى كتبها وهو في السادسة عشرة وأهمها اثنتان التي من مقام ut اى دو سنة ١٨٢٨ أو السنة التي مات فيها وقد هجرت في أول الأمر لصعوبة توقيعها ثم عثر عليها شومان في أوراق فردينان شوبرت وكان من المعجبين به . وقد أغدق عليها شومان من أنواع التقريظ ما شاءت له حماسته وقال انها تكاد توضع في صف سانفوني بيتهوفن

الموسيقى المسرحية

كتب شوبرت ثمانية عشر مؤلفا للمسرح منها اثنان مفقودان ، وواحد لم يتم ، وأربعة منها أوبيريت ، واثنان موسيقى للمسرح وفيها كورس وفاتحات وانترا كت وميلودرام ورقص ويبقى بعد ذلك خمس أوبيرات بالمعنى الصحيح ، أهمها Alfonso et Estrella سنة ١٨٢٢ وفيرا براس سنة ١٨٢٣ وكل منهما ذات ثلاثة فصول . يتساءل الناس لِمَ لَمْ ينجح شيء من مؤلفات شوبرت المسرحية ؟ لأنه لم يوهب الذوق المسرحي ، وقد دهش منه لزت إذ قال : « إن الذوق الأدبي الذى برهن عليه منذ صغره في اختياره لمتون الليدر قد فارقه وخانه في متون الأوبيرات إذ كان يظهر له الغث والسخيف قيما حسنا ، وكان يكتب له متون أوبيراته أصدقاؤه الذين لم يضربوا بسهم وافر في البيان ولهذه الاعتبارات لم تمش موسيقاه المسرحية

لقد نبغ شوبرت في موسيقى الغناء حتى صاغها بمعنى عميق من التعبير الصوتي؛ وقد كتب نحو خمسين نشيداً (كور) لأصوات الرجال وعشرين لأصوات مختلفة ، ولكنه قبل كل شيء صاحب الصولجان في الليدر التي سبكها في نحو مائة شكل من التعبير إذ تناول جميع أنواع الشعر فلحنها على جميع أنواع الأوزان إذ عالج كل ما وقع في يده من الشعر الوجداني والقصصي والدرام ؛ ورغماً من مرونة عبقريته وسهولتها كان يسود على موسيقاه تعبيره الشخصي إذ كان الرجل الحساس في القرن الثامن عشر

إن ليدر شوبرت تمثل كل صفات الابداع والابتكار التي أوجدتها الطبيعة فلا تجد فيها شيئاً مصطنعاً لأنها ليست نتيجة الثقافة ، ولم تتفتح في حدائق المدنية بل تفجرت كالسيل في محراب عميق بطبيعة لم تنتهك حرمتها ؛ وترى موج الالحان يسيل منها كنبع لا ينضب ماؤه . تتسرب موسيقاه إلى أعماق النفس فتهيمن عليها ويشعر الانسان حينما ينصت إليها بتأثير لا يستطيع أن يثبت أمامه كما نفتتن بصباح جميل عليل النسيم من أيام الربيع وقد كسا الطبيعة بأبهى حلله وعطر الأرجاء بعبقه الشذى . وقد تناول في تلحينه ليدر جوت وشيلير وهين وولترسكوت وأوسيان وغيرهم من الشعراء

الموسيقى الدينية

يذكر الناس أن شوبرت عرفنا بحالته النفسية في خطابه الذي كتبه في يولية سنة ١٨٢٥ عند ما لحن نشيد العذراء Ave Maria إذ قال : « لا يمكنني أن أتناول موضوعاً دينياً ما لم أشعر بالتقوى حينما تتملكني . ولم يكفه أنه اقتعد أرفع مكانة في الليدر والسانفوني وموسيقى الغرف بل أراد أن يثبت للجمهور مكانة لا تقل عنها رفعة في الموسيقى الدينية

وخلاصة القول أن شوبرت يعد من أكبر الشخصيات التي يشار إليها بالبنان في عالم الموسيقى . وقد اختطفته المنية وهو في نضرة شبابه أي في الواحدة والثلاثين ؛ ولو عاش لجلس مع كبار النوابغ في صف واحد . وكأنه أحس بقصر عمره فطفق يسرع في إنتاجه بشكل أدهش الناس كما فصلنا ذلك في موضعه . وكان يتعزى في بؤسه وسوء حظه وسقمه بأصدقاء حميمين يحيون معه هذه الحفلات الفنية البريئة حتى ينسوه آلامه . وهناك كان



رسالة الشعر



حين أطرقت ملهمتي (*)

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

« لفها صمت عميق فى مساء يوم من أيام اللقاء فبدت فى هالة من الجمال الحزين ... أشبه ما تكون بأغنية سماوية على شفة ملاك نائم !! »

أطرقَتْ كالخيال فى خاطري السَّا   جِي، وكالنَّبْعِ فى الظلال الحزينهَ
تتملى فى صمتها ، ذات جَفْنٍ   شاعرٍ فى الدُّجي يُقاسى شُجونه
أطرقت ! يالـكُرْبة النَّاى ! من يُذْ   كي هواهُ ؟ ومن يُناغى لحونهْ
مَنْ يواسيه إنْ طَغَتْ ثورةُ القلـــبِ   فهاجت لها الهمومُ الدَّفينهْ
من لهُ ؟ آهِ ! مَنْ لأنغامِهِ السُّو   دِ إذا شبَّتِ اللَّيالى أنينهْ ؟
كم شدا فى ظلالها ناعِمَ اللَّحْـــنِ   ، وألْقى على يديْها رنينهْ !
ناغماً بالهوى كَتُمْرِيَةِ الفَجْـــر   ، طَرُوباً كالنَّحْلةِ المفتُونهْ
مالهُ عادها فصدَّتْ أمانيهِ   وظَلَّتْ فى الصمتِ وَهْى حزينه ؟

* * *

أطرقتْ فى الظلام كالأبد الوسْـــنانِ   ما فَرَّتِ الدياجى سِنينهَ
صَمْتةُ الغَيْب غلَّفتْهُ يدُ اللَّـــهِ   ، وأخفت عن العقول كَمينهْ
مِثْلَ رَيْحانة المســاء جفاها   نَسَمٌ منه ، فاستطابَتْ سكونه
يعبقُ المرجُ فى الدجى من شَذاها   وَهْىَ وَسْنَى بين الروابى سجينه !

* * *

إيهِ مَنْ تُلْهِم الأغاريد ، تَنْدى   مِن صفاء .. يا بُؤسَ مَن تلهمينه !
ظَمِئَ النَّايُ للتغنِّى .. فهاتى الـــكَأْس   ، وارْوِى لِيَاعَهُ وحنينهَ
أنْتِ فى الصمت آيةٌ فجَّرَ اللَّـــهُ   عليها من الجلال مَعينه
فاصْمُتى ! أوْ فعاوِدى الصبَّ بالسِّحْـــرِ   ! وناغِى هُيامَهُ وَفتونهْ
بَيْتُ شِعرٍ على جبينك غافٍ   أيقظ الصمت سِرَّهُ وفنونهْ
وفؤادى الذى تكشَّفَ نجْوا   هُ ، وذَرَّى على الخيال دفينه ..
وعلى الأعْيُنِ السَّواجي صلاةٌ   أنا منها فى خشعةٍ وسكينهَ
ما لنُسْكها وجودٌ ! ولــكن   عابدُ الحسن ـ وَحْده ـ تعرفينه
وعلى الصَّدْر هِزَّةٌ جاوَبتْها   ضجةٌ فى مشاعرى مجنونه
خِلْتُ منها وزَفرةُ الصمت تغْلى   نارَ زِقٍ من الأسى تنفخينه
وعلى الثَّغْرِ جدولٌ من أغانٍ   آه لوْ فى جوانحى تَسْكبينهْ !

(*) من ديوان (هكذا أغنى) ... تحت الطبع

يرتجل الليدر الشجية . تلق دروسه الأولى بشكل ناقص لا يشمر ولـكنه كان معلم نفسه . وكان أستاذه هولزر يبتدئ له بالقاعدة فيسبقه بتعريفها بالهامه وذكائه فكان يقول له : « إننى لا أستطيع أن أفيدك شيئاً ! » وقد وهب شاعرية موسيقية لم يوهبها غيره تفيض على تلحينه فتكسبه أرق العواطف وأبلغ التعبيرات وأدق الأوصاف ، هذا بخلاف رنة الحزن الحلوة التى تسود تلحينه وتصل إلى سويداء القلوب

كان طيب القلب مرهف الحس محباً للخير لا يحسد غيره من كبار الموسيقيين بل كان يعجب بهم ويغبطهم ؛ وكان محبوباً لدى الشعب قبل الاخوان . كانت موسيقاه في تقدم مطرد نحو الرقى والكمال بدليل أن مؤلفاته فى سنيه الأخيرة كانت من أرق ما كتب ؛ ولو طال عمره قليلا لأتى بالمعجزات والمدهشات

محمد كامل حجاج

نشرتْ مهجتى القلاعَ على شطِّـيهِ ـ شوقاً ـ فرحمتا للسفينهْ !
لم تجدْ مرفأً لديهِ سوى الصمـتِ ، وشطٍّ مغيَّبٍ ترقبينهْ !
وظلالٍ وراءَ كونٍ بعيـدٍ فجّرَ الصمتُ فى رباها عيونهْ !
طيرُها نام فى رفاتِ الأغانى بعدما أسكرَ التغنِّى غصونهْ !
فلأىِّ من الضفافِ سيمضى سابحٌ فى هواكِ لا ترحمينهْ !
قد هجرتِ الخيالَ والشعرَ والصمـتَ ... وخلفتِ ناره وجنونهْ
وامّحى كونكِ المجسَّمُ ... إلا قبسٌ من صبابةٍ تشعلينهْ
رحتِ تذكينهُ من النظر السَّا مى وفى معبدِ الهوى تضرمينهْ !
رحمةً بالحبيب يا هالةَ الوحـى ! وزفِّى ضياكِ يسنى عيونهْ
وابسمى أو تكلَّمي الآ .. وإن شئـتِ فلحظاً على دمي تنشرينهْ
ينشرُ السحرُ والهوى والأمانى فوقَ دنيا بخاطرى محزونهْ
أو فصمتاً ... ورفرفى حولَ روحى
واسكبى الوحىَ فى ظلال السكينهْ
أنتِ نسَّيتِني هدوئى فى « الكو خِ » وأفنيتِ لى ضجيج المدينهْ
وجعلتِ الأكوانَ لحناً خفيًّا ليتَ ـ يالوعةَ المنى ـ تعزفينهْ
وترى ماتَ فى يديَّ حنيناً وغليلُ الهيامِ أبلى متونهْ
فابعثيهِ من البلَى يتغنَّى مثلما كنتِ دائماً تسمعينهْ
لفظةٌ منك فتنةٌ وحياةٌ تتهادي بها الأغاني السجينهْ
أنتِ يا سلوتى على نكدِ الدنيـا وصفوى على الليالى الحزينهْ
شابَ عمرى ولاتَ .. والروح أضحتْ
منْ أساها يتيمةً مسكينهْ
والرزايا أقمنَ عرساً لحظِّى لا تمنَّيتُ مرةً تشهدينه !
أتعايا بشقوتى ! والمزامير بكفِّ شقيَّةٍ موهونه
يتسلَّى بنا الوجودُ ... ولكنْ سلوةُ الذئبِ بالشياهِ السمينه ..
وتغنِّيهِ ملهَمين حيارى بينَ رجسٍ ، وغفلةٍ ، وضغينه
فاعذريني إذا ألحت بىَ النجـوى لصوتٍ مقدَّسٍ تكتمينه
فأنا ظامئٌ ... وصوتكِ للرو ح عبيرٌ تذيعهُ (ياسمينه)

محمود حسن اسماعيل

مداعبة صديق

للأستاذ محمود غنيم

تعزية موجهة إلى صديقنا الشاعر (...) عن سبعة جنيهات احتال عليه دجال فسلبه إياها أحوج ما يكون إليها

هوِّن عليك وجفِّفْ دمعك الغالى لا يجمعُ اللهُ بين الشعر والمالِ
إنَّا لفى زمن فقـدُ النقود به يُدمي العيون كفقد الصحب والآلِ
أدِّ التعازى فى مال وفى ولد لا فرق ما بين أموالٍ وأنجالِ

* * *

مِنْ أين أصبحتَ ذا مال فتسلبهُ يا أشبهَ الناسِ بى فى رقةِ الحالِ ؟
فيالها سبعةً من جيبك انطلقت وأنت أحوجُ مخلوقٍ لمثقال
فريسةٌ من فم السنور قد نُزعتْ شتَّانَ ما بين سنَّورٍ ورئبالِ
عوِّذْ نقودكَ واعقِد حولها عُقَداً وثيقةً تتحدى كلَّ حلَّالِ

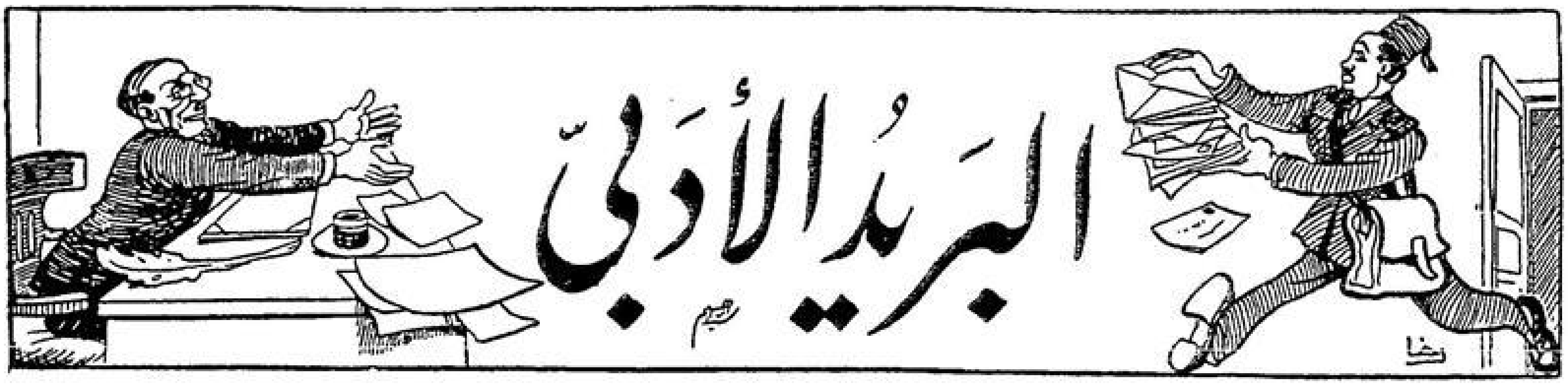
* * *

قالوا خلت يدُهُ من كل ماملكت فقلت بل رأسُه من عقله خالِ
لم يبقَ عندك ما تخشى عليه فنَمْ كما أنامُ قريراً ناعمَ البالِ
نفسى فداؤُكَ ليت اللصَّ صادفنى قد يغلبُ اللصَّ بالأفلاس أمثالى

* * *

ياليت شعرىَ ماذا أنت صانعهُ ؟ أتزمعُ الصومَ حتى شهرِكَ التالى ؟
عش من قريضك فى رىٍّ وفى شبع إن كان ينتفعُ الظمآنُ بالآلِ
أقسمت ما سلبت تلك النقودَ يدٌ بل ودَّعتْ هرباً من جيبك البالى
الذئب لا يشتهى لحمَ ابنِ جلدته فكيف غرَّرَ دجَّالٌ بدجالِ ؟

« كوم حمادة » محمود غنيم



مجمع أدبي مصري

منذ دخل صاحب المعالي الدكتور هيكل باشا عضواً في هذه الوزارة وهو يفكر جدياً في إنهاض الأدب وتوجيه الثقافة إلى الوجهة المنتجة . وقد طالع بهذا العزم فريقاً من أصدقائه الأدباء فبحثوا معه الأمر ورسموا له مشروعاً . فلما ولي الأمر في وزارة المعارف عقد النية على دراسة هذا المشروع فأصدر القرار التالي بعد الديباجة

بما أنه قد لوحظ أن الحركة الأدبية في مصر وان كانت قد نشطت وأصبح لها أثر ظاهر في تثقيف الجمهور وتوجيهه ، إلا أنها لا تزال يعوزها التنظيم الذي يكفل لها اطراد التقدم وحسن التوجيه. وبما أنه قد نبتت فكرة الدعوة إلى انشاء مجمع أدبي مصري يقصد به على الأخص إلى تنظيم الحياة الأدبية في مصر وإيجاد صلة منظمة تربط الأدب والأدباء بالجهود التي تبذلها وزارة المعارف في تنشيط هذه الناحية وتعاون على تنمية الثروة الأدبية في البلاد — على غرار ما هو متبع في البلاد ذات النهضات الأدبية الكبيرة . وبما أننا نرى تكوين لجنة تقوم بدراسة هذا المشروع والتقدم باقتراحاتها في نوع الوسائل الكفيلة بتحقيق الأغراض المتقدمة

لذلك قرر :

مادة وحيدة — تؤلف لجنة برياستنا وعضوية : — حضرة صاحب المعالي الشيخ مصطفى عبد الرازق بك والدكتور طه حسين بك والأساتذة احمد امين وخليل مطران وعباس محمود العقاد وابراهيم عبد القادر المازني وتوفيق الحكيم : لبحث وسائل تنظيم الحركة الأدبية في مصر

الأدب العربي في مصر منذ الفتح الاسلامي

أصدر وزير المعارف القرار التالي . وهذا نصه بعد الديباجة .

بما أن للأدب العربي في مصر طابعا خاصا اختلف في العصور الأولى للفتح الاسلامي عنه فيما تلا ذلك من العصور ويتناول هذا الأدب انتاج الكتاب والشعراء الذين وفدوا من البلاد العربية والاسلامية إلى مصر وأقاموا بها كما يتناول انتاج الكتاب والشعراء المصريين

وبما أننا نرى ضرورة العناية بدراسة هذا الأدب في مختلف عصوره ، وعلى الأخص تاريخه وصلته بالحياة العامة المصرية — اجتماعية وسياسية واقتصادية — وإظهار الصورة التاريخية التي يرسمها هذا الأدب المصري في عصوره المختلفة

ولما كانت دراسة هذا الموضوح تتطلب الاستعانة برأي طائفة من المشتغلين بالأدب العربي في مصر لتعرف الوسائل التي تؤدي إلى حفز الهمم لابراز هذه الناحية قرر :

مادة وحيدة — تشكل لهذا الغرض لجنة برياستنا وعضوية : حضرة صاحب المعالي الشيخ مصطفى عبد الرازق بك ووكيل وزارة المعارف العمومية . والدكتور طه حسين بك . والأستاذ احمد أمين . والأستاذ علي الجارم بك . وأستاذ الأدب العربي بدر االعلوم

وسائل مكافحة الأمية بين طبقات الشعب

أصدر وزير المعارف قراراً بانشاء لجنة لبحث وسائل مكافحة الأمية ، بين طبقات الشعب ، سواء منهم من كان في سن الالزام أو من تجاوزه . وهذا هو القرار :

بعد الاطلاع على التقرير المقدم من اللجنة التي عهد إليها بحث مشروع مكافحة الأمية

وبما أن جهد وزارة المعارف فى مكافحة الأمية بنشر المكاتب العامة يقتصر أثره على الأطفال الذين فى سن الالزام ، ومن نتيجة الاقتصار عليهم أن تبقى أغلبية الشعب الساحقة غارقة فى غمار الأمية

وبما أننا نرى ضرورة اتخاذ الوسائل الكفيلة بالقضاء على الأمية لتهيأ لسواد الشعب المصرى وسائل الاستنارة واكتساب قسط من الثقافة يرفع من مستواه ويصله بالحياة الصالحة الجديرة بالشعوب الناهضة

وبما أننا نرى تشكيل لجنة تعنى بدراسة هذا الموضوع من جميع نواحيه وتتقدم باقتراحاتها لتحقيق الغرض المتقدم

لذلك قرر :

مادة وحيدة — تشكل لهذا الغرض لجنة برياستنا وعضوية : وكيل وزارة المعارف ، الوكيل المساعد لوزارة المعارف ، مراقب التعليم الأولى ، محمد فهيم بك ، إبراهيم تكلا بك ، الأستاذ محمد مظهر

مشروع اعداد المعلمين لمدارس التعليم غير الأولية

بين المشروعات التى اشتغلت بها وزارة المعارف ، مشروع إعداد المعلمين للمعاهد غير الأولية . وقد اتخذت الوزارة القرار التالى فى صدد هذا :

بعد الاطلاع على الاقتراحات المقدمة من اللجنتين اللتين شكلتا لبحث موضوع إصلاح دار العلوم ومعهد التربية للبنين

وبعد الاطلاع على التقرير المقدم من وكيل الوزارة المتضمن رأيه فى وسائل إعداد المعلمين للمعاهد غير الأولية

وبما أننا نرى وجوب العناية القصوى بحسن إعداد المعلم وذلك بوضع الأساس الصحيح الذى يقوم عليه كل إصلاح فى وسائل التربية والتدريس

وبما أننا نرى — لتحقيق هذه الغاية — تشكيل لجنة تقوم بدراسة هذه المشروعات والاقتراحات وتتقدم برأيها فى خير الوسائل لحسن إعداد المعلم وإصلاح المعاهد التى تقوم بهذا الاعداد

لذلك قرر :

مادة وحيدة : تشكل لهذا الغرض لجنة برياستنا وعضوية وكيل وزارة المعارف . الوكيل المساعد لوزارة المعارف . مراقبى التعليم الابتدائى والثانوى وتعليم البنات والتعليم الحر بالوزارة . عميد كلية الآداب . عميد كلية العلوم . ناظر دار العلوم ناظر معهد التربية للبنين

حول الرمزية

يسألنى الأديب الفاضل السيد كامل الشرقاوى (الرسالة ٢٥٦)

« هل الغموض والابهام من مستلزمات الرمزية وهل بدونهما لا تكون ؟ »

فالرمزية — حسبما بينت فى الرسالة رقم ٢٥١ — على ألوان . فإن كانت الرمزية ناهضة على ما وراء الحس أو الطبيعة غلب الغموض بل قل الاستغلاق عليها (عند مالارميه وفاليرى وكلوديل مثلاً) ، وإن كانت ناهضة على التأثر والإيقاع والتخيل المنسرح قلّ الغموض فيها (عند فرلين ودى رينييه مثلاً) . وأما الرمزية الناهضة على الدقائق والخواطر والواردات من حيث القابلية والابهام والتلويح والتمثيل من حيث الأداء فإنما ينبسط على نواحيها ظل لطيف . ولتجدن بيان هذا فى « التوطئة » التى صنعتها لمسرحيتى « مفرق الطريق »

وأما قصة جبران و (وليم بليك W. Blake) فإنى لا أزال عند رأيى (ارجع إلى الرسالة ٢٥١) . ومما يعزز هذا الرأى قول (رودان) النحات فى جبران ، وتصديه فى المقدمة التى عملتها فنانة أمريكية (لا يحضرنى اسمها الآن) لمؤلف لجبران يضم عشرين صورة وعنوانه : Twenty Drawings (وهو مطبوع فى الولايات المتحدة)

وبعد ، فهذه الرمزية تشق طريقها فى الأدب العربى ، إذ تطّرد الكتابة فيها (ولا سيما فى الرسالة) . إلا أن بعض ما كتب لا يمحصه نقد ولا يمدّه اطلاع ، وليس بالقارئ اللبيب حاجة إلى التنبيه

بشر فارس

بين الرافعى والعقاد

جاء فى مقال الأستاذ سيد قطب المنشور فى عدد (الرسالة) الغراء رقم ٢٥٦ ما يأتى :

« ... إنه راح يتقصى ما قيل فيما يقرب من قول العقاد : فيك منى ومن ... سائراً فى تقصيه على النسق الخالى من كتب النقد العربى لقدامة وأبى هلال العسكرى ومن ينقلان عنهما (كذا) ... من تتبع المعنى تتبعاً زمنيًّا وحسبان كل شاعر متأخر أخذ هذا المعنى عن شاعر متقدم وزاد فيه أو نقص ، وتصرف أو ولد ... الخ »

وأنا لا أريد أن أخوض غمار المعركة وقد أرادني الأستاذ الزيات على الصمت حيناً ، غير أنه يؤسفني أن أجد فينا من يحاول أن يحط من قدر القدماء من أجدادنا وأن ينظر إلى تراثهم الغالي نظرة احتقار وهو ما يزال في أول الطريق ... ثم إني أريد أن أنصف الأدب والتاريخ ؛ فالذي يقرأ هذه الفقرة من كلام الأستاذ قطب يخيل إليه أن قدامة بن جعفر كان يعرض للبيت من الشعر (فيتتبع المعنى تتبعاً زمنيًّا) وأنا قرأت كتابي نقد الشعر ونقد النثر لقدامة فما وقعت عيني على شيء من هذا ، بل هو نقد وتحليل يستطيع الأستاذ قطب أن يرى رأي الذين يفهمون الأدب لو قرأ في المقدمة التي كتبها الدكتور طه حسين لكتاب نقد النثر الفقرة الأولى ص ١٧ والفقرة الأولى من ص ١٨ من طبعة دار الكتب المصرية ، ثم لو قرأ في التحقيق الذي كتبه الأستاذ عبد الحميد العبادي الفقرة الأولى ص ٣٥ والفقرة الثانية ص ٣٦ من نفس الطبعة ... وإني أرجو الأستاذ قطب أن يمعن في قراءة كتابيّ النقد لقدامة لعله يرى خطأ هذا الرأي ، فهو في كتابيه لم يكتب حرفاً في الطريقة التي أشار هو إليها والتي لزمها القاضي الجرجاني في كتابه الوساطة بين المتنبي وخصومه ، وهي طريقة لا تخلو من فائدة جليلة ...

أما أبو هلال العسكري فلقد قرأت له كتاب الصناعتين ، وكتاب ديوان المعاني ، وكتاب محاسن النثر والنظم فما عثرت على شيء مما قال الأستاذ قطب

ولست الآن بسبيل أن أعرض لكل كتاب فأكشف عن الغرض الذي رمي إليه المؤلف وعن طريقة الكتابة وأبواب الكتاب ، ولكني أريد أن أطلب إلى الأستاذ قطب أن ينبئني عن تفسير قوله « ومن ينقلان عنهما » ثم عن مواضع النقل البارزة في الكتب السابقة

فهل لي أن أسمع منه كلمة هادئة في هذا الموضوع دون أن يتحدث عن القديم والجديد ، فهذا باب آخر ...

كامل محمود حبيب

تجميل وزارة المعارف وتشجيع رجال الفن

رأت وزارة المعارف أن في مصر طائفة كبيرة من رجال الفن الذين يبتدعون مختلف اللوحات الفنية الرائعة والتماثيل المنحوتة الجميلة ، ثم لا يجدون الاقبال عليها مما يجعلهم في حالة يستحقون من أجلها المعاونة حتى يمكنهم النهوض بفنهم

وقد اعتزمت الوزارة إزاء هذا تجميل مكاتب كبار الموظفين بوضع اللوحات الفنية لرجال الفن المصريين كما اعتزمت تجميل حديقتها بوضع التماثيل فيها

وتأمل الوزارة أن تحذو الوزارات والمصالح الأخرى ، والأسر الكريمة الراقية حذوها في اقتناء تلك الآثار الفنية الرائعة التي يضيق عنها متحف الفن ، رغبة في تربية ملكة الذوق السليم في النشء من ناحية ، وفي تشجيع رجال الفن من المصريين على المضي في ابتداعهم وإنتاجهم من ناحية أخرى

منح المجلس البريطاني لخمسة من طلبة الآداب

تلقت الجامعة المصرية ، كتاباً من المجلس البريطاني ، ذكر فيه أنه يمنح خمسمائة جنيه لخمسة من طلاب قسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب ، تقسم بينهم بالمساواة فتتاح لهم بفضل هذه المعاونة المادية زيارة انجلترا لتوثيق عرى الصداقة وتمكين الأواصر العلمية بين مصر وانجلترا

وقد أعد لهم المجلس مقراً صيفياً في أكسفورد لهذه الغاية ، وقد عرض هذا الكتاب على مجلس الكلية ، فتقبله شاكراً ، وسيعرض على مجلس الجامعة في اجتماعه يوم الثلاثاء القادم ، ثم تختار كلية الآداب الطلاب الذين يسافرون في هذه البعثة الثقافية

بين الرافعي والعقاد

قرأت ما كتبه الأستاذ كامل محمود حبيب فيما رأيته من صيحة قول العقاد :

فيك مني ومن الناس ومن … كل موجود وموعود تؤام

لأن كل شيء في الكون لا يخلو من حسن يسوغ إجراء بيت العقاد على عمومه ، فلم يسعه إلا أن يعترف بعموم هذا الحسن ولكنه فسره بمعنى الدقة في الصنع وجمال الخلق

وهو يرى أن هناك جمالين : أحدهما جمال بهذا المعنى الذي ذكره من دقة الصنع وجمال الخلق . وثانيهما جمال لم يستطع تفسيره ، بل قال إنه الجمال الذي يجذب القلب ، ويأسر الفؤاد ، ولا يمكن أن يجده الانسان في الدودة وفي الدبابة وغيرهما مما تشمئز منه النفس ، ويعافه الذوق

وإنى لأقول للأستاذ الفاضل إنه لا جمال فى الدنيا إلا بمعنى دقة الصنع ، وجمال الخلق ، وهو عام فى كل ما خلق الله تعالى ، وإن كان لكل نوع من ذلك جماله الذى قد يكون قبحاً فى غيره

ولا شيء بعد هذا فى أن يقول العقاد إن معشوقته فيها من كل شيء من هذا الكون الجميل ، وهذا كما تقول إن زيداً فيه جزء من كل حيوان فيصح لك هذا القول ، لأن الحيوانية العامة جزء من زيد ، وهى جزء من كل حيوان

بل يجب أن نقبل هذا من العقاد كما نقبل منهم تشبيه الوجه الحسن بالبدر ، مع أنك إذا ذهبت تستقصى فى البدر ما تستقصيه فى بيت العقاد يضيع منك هذا التشبيه الجميل ، ويكون لك فى البدر من الجبال والكهوف وما إلى ذلك ما فى بيت العقاد من الدود والذباب ونحوهما

على أن الأمر لا يقف فى بيت العقاد عند الصورة الحسية من معشوقته ، بل يتناول مع هذا صورتها النفسية ، فهى حلوة ومرة ، وهى نعمة وبلاء ، وهى سعادة وشقاء ، وهى فى مرارتها أشد من الصاب ، وإن شئت قلت من الملح الانجليزى الذى تهكم به الرافعىُّ رحمه الله ، وهى فى هذا حلوة وجميلة أيضاً ، ومثلها فى هذا مثل ذلك الممدوح الذى قال فيه بعض الشعراء :

هو عسل إذا ياسرته وإن عاسرته فهو صاب

ولست بعد هذا فى حاجة إلى إعادة الكلام فى بيت الأستاذ العقاد ، وليس عندى من التعصب له أو للرافعى ما يدعونى إلى إطالة هذا الجدال

عبد المتعال الصعيدى

وفاة عالم بريطانى

فقدَ قسم العاديات المصرية والأشورية فى المتحف البريطانى ، عالما فى الآثار المصرية من العلماء الحديثين الذين كان يرجى لهم مستقبل عظيم ، بوفاة المستر الان وين شورتر الذى قضى نحبه بذات الرئة وهو فى الثانية والثلاثين من عمره

وقد التحق المستر شورتر بالمتحف البريطانى فى سنة ١٩٢٩ فوجه أكثر عنايته منذ ذلك الوقت ، إلى دراسة النصوص الدينية المصرية وقد وضع بضعة مؤلفات عن الحياة الدينية عند قدماء المصريين وأنجز أخيراً الجزء الأول من « كتالوج » أوراق البردى المصرى وفى عامى ١٩٢٨ و ١٩٢٩ اشترك فى بعثة جمعية الاستكشافات بمصر



كيفما اتفق AT RANDOM

كتاب بالانجليزية للدكتور أحمد زكى أبو شادى

للأديب نصرى عطا الله سوس

الدكتور أبو شادى شخصية فريدة كل مافيها معجب محبب ، وهو مثال باهر للكاتب الذى يحيا حياة عامرة بمختلف أنواع النشاط الناهض. وحسب الطبيب الشاعر أنه إحدى الشخصيات القلائل التى تمددت نواحى أذهانها دون أن تطغى ناحية على أخرى . وهو مثل حى بليغ لاستحالة المداوة بين الفلسفة والدين والعلم والشعر . وإن الخلاف بين نوعين من أنواع المعرفة لايجد له مكاناً إلا فى الذهن الكليل الذى لا يمكنه أن يفهم إلا جزءاً من كل ، والذى توفرت له بعض المؤهلات ولم يتوفر له البعض الآخر ؛ ولكن العقل الكبير يدرك بالبديهة قبل أن يثبت بالبرهان (إذا فرض إمكان الاثبات عن طريق العلم) أن العالم وحدة لا تتجزأ وأنه من المستحيل أن يناقض بعض أجزائها البعض الآخر

ويعجبنى فى الدكتور أبى شادى أنه كائن حى قائم بذاته يتفجر إيمانه بالحياة وربها وما بعدها من أعماق ذاته ولا يتقبل تعاليم السلف مغمض العينين . والاستقلال الذاتى صفة نادرة ؛ ولكن الحياة بدونها تصبح باهتة رثة عديمة الطعم عديمة القيمة .

وقد اتجه الدكتور إلى التأليف بالانجليزية وبين يدى الطبعة الثانية لكتابه « كيفما اتفق » وقد تناول بالبحث فى كتابه هـذا أهم المشاكل العالمية مثل تحسين النسل ، العوامل التى يجب أن تتوفر فى الشخص المتمدين ، العبقرية ، الديمقراطية والحكم المطلق ، الدين ، المساواة بين الجنسين ، الاقتصاد ، التعاون ، والأخلاق ، ويجب على كل شخص يحس بوجوده أن يدرس هذه الموضوعات ويكوّن له رأياً خاصاً فيهـا ؛ وغرض الكاتب هو خير الفرد وسعادة المجموع . غير أنى أختلف معه فى بعض ما يقترحه من وسائل وغايات

تطغى شخصية العالِم فى هذا الكتاب على ماعداها. وأى عالم ؟ ذلك الذى لا يؤمن إلا بالعقل وحده والمنطق والمقاييس المضبوطة — وعهدى بأبى شادى شاعراً كبيراً ولكن شخصية الشاعر اختفت تماماً من هذا الكتاب ، وفى هذا خسارة لا كسب . وقد تطرف الكاتب فى بعض آرائه تطرفاً عنيفاً وهاجم بعض النواحى التى لا يسهل مناقشتها فى مصر وإن كانت هذه النواحى أكثر الأشياء افتقاراً إلى البحث والتمحيص . ولا شك فى أن كل مثقف يؤمن بما قاله المؤلف عن « الأساطير » وأن اعتناق الجماهير إياها مصدر الكثير من الضرر ، ولكنه لن يجد من يؤمن بالعلم وحده . العلم الذى يتخذ المقاييس والرياضيات أساساً له — ومن العسف أن نهاجم عقائد الشخص العادى ونحاول تشكيكه فيها مهما كان فيها من خلط وزيف قبل أن نمده بما يشغل مكان هذه العقائد — والعلم لن يقوم مقام العقيدة ، وكل حضارة لا تستند إلى إيمان قوى لا يمكنها أن تثبت لإرهاصات الزمن — ولا شك فى أن العلم ركن قوى من أركان الحضارة ولكنه لا يمد الانسان بالايمان الذى يريح القلب ويطمئن الضمير ، ولكن الايمان ينبع من أعماق النفس ولا حيلة للمنطق معه ! وستمر دهور ودهور قبل أن يترجم الانسان العادى النور وتغريد الطيور وجمال الزهور إلى معان إلهية . ومن هنا صعوبة مهاجمة « الأساطير » فى الوقت الحاضر — وعندى أن كل إصلاح لا يبتدئ بالفرد مصيره الفشل المحتوم — فيجب على المصلحين أن ينموا شعور الفرد بانسانيته وأن يستخدموا العلم فى تحريره من ربقة المادة ، وأن يفتحوا أمامه

سبيل تهذيب الضمير بواسطة الآداب والفنون حتى يتفجر إيمانه بالقوة الخالقة من أعماق ذاته المحرَّرة . وعندئذ يمكنه أن يُنزل الأساطير مكانتها الحقيقية؛ ومتى وصل إلى هـذا المستوى وشعر بكرامته الانسانية فسيشعر بواجبه شعوره بحقه وسيفهم معنى الحياة الانسانية الحقة، ويخصص نفسه لخدمة مثلها العليا، ولن يؤمن بالدكتاتورية أو يسمح بها. أما الايمان بالعلم وحده فمظهر من مظاهر الصلف والاغترار الذهنى

وأعتقد أن العالم الذى حوى صدره علم الأوائل والأواخر ، والذى يقول « إن الحياة على هذه الأرض محض صدفة » أو يبلغ به التبجح إلى أن يقول : « إن الله عالم رياضى » إنسان بائس مسكين ، والشخص العادى الضعيف الذى يرى أن مظاهر القدرة الالهية مبثوثة فى كل شيء أسعد منه بمراحل . والظاهر أن المؤلف تأثر بكتابات الذهنيين Rationalists ونظريات برتراند رسل عن وحدة الروح والجسم وهلا كهما معاً. وحسبي أن أذكر مثلا من هذه النظريات يرينا خلل وضلال القياس الذهنى :

يقول رسل إن حالة « الاشراق والصفاء » والمعانى اللطيفة التى تترقرق فى قلب الانسان أثناءها تشبه حالة السكر وما يخالج النفس أثناءها من نزوات، لأن السكر حالة شاذة تقع بواسطة مؤثر خارجى هو الخمر ؛ وكذا حالة الاشراق أيضاً لأنها تقع بواسطة مؤثر خارجى هو الصوم ! وهذا هو ما يؤدى إليه الايمان بالعلم وحده

ولا شك أن هـذا الكتاب خطوة حسنة فى سبيل توطيد العلاقات الثقافية بين مصر وبريطانيا؛ غير أن القارئ الغربى لن يجد فى هذا الكتاب جديداً ولا يمكنه أن يتبين أن المؤلف رجل شرقي ، لأن «الشخصية» بمعناها الأدبى معدومة الأثر فى الكتاب. وقد عالج المؤلف موضوعات معروفة مطروقة فى الغرب ولا فضل له فيها إلا الجمع والترتيب والاختيار ؛ ثم عرض لبعض المظاهر الاجتماعية فى مصر. ولعله ينحو فى كتاباته المستقبلة نحواً جديداً بحيث تبدو فيها خصائص الروح الشرقية الحرة ، وهـذا ميدان واسع تعود الكتابة فيه بالفائدة على الشرق والغرب، لأن مظاهر العلم والفن والأدب فى أوربا الحديثة متأثرة بمـا ترزح تحته هذه القارة من أنواع المحن والبلاء ، ولا يمكن للشخص الغربى المنشأ فى حلقة هذه الظروف أن ينظر إليها نظرة أصيلة فاحصة ولكن الرجل الشرقى الذى لم يتأثر بهذه الظروف يمكنه أن ينظر إلى هذه الأحوال نظرة أقرب إلى الحق والصدق ، ويجب على الكاتب الشرقى أن يهتدى إلى الغرب مما عندنا لا مما يستعيره منه

بقى أن نقول إن الشرق مفتقر إلى مثل هذا الكتاب أكثر من افتقار الغرب إليه ، ويقول المؤلف فى مقدمته أنه يعنى بكتابه القارئ العادى (الغربى طبعاً) ثم يعود فيقول إنه لا يعنى بكتبه عموماً إلا الخاصة ، وإنه لا يتهم بسواد القراء فى الشرق ؛ ولما كانت خاصتهم تعرف الانكليزية فلا ضير عليه فى الكتابة بها ؛ ولكن المؤلف يدعو إلى التعاون العالمى، وهذا لن يكون إلا إذا ارتفع القارئ الشرقى العادى إلى مستوى القارئ الغربى العادى ولعلنا نرى الكتاب مترجماً إلى العربية بعد تعديل يلائم الشرق

نصرى عطا الله سوس

يونا انطون

للآنسة وداد سكاكيني

لما قرأت رواية « يونا انطون » للاستاذ كرم ملحم كرم لمعت بخاطري رواية نوتردام دو باري لشاعر الفرنسيس فيكتور هوجو ، وخفق أمام عيني مسوح الراهب كلود فرولو وقد ملأها الهواء فانتفخت حتى بدت وراء ظهره كالقربة ؛ تمثلته بالخيال يصعد مجلان سلالم الكنيسة ، لاحقاً بالراقصة الحسناء «ازميرالدا» ملحاً عليها بأن تحبه فيجثو أمامها ضارعاً لهيفاً ، كما يجثو أمام المذبح في المعبد ، ويناشدها الغرام الأثيم ثم يقول لها : تخيري أحد أمرين : إما شهوتي العاتية وإما الموت الزؤام ، فاختارت الثاني فطوح بها هذا السفاح في مهاوي الردى وقد اتهمها بالقتل ، وما قتلت إلا يده الجانية وغيرته الطاغية فهو الذي طعن حبيبها الأمير فوبوس من خلفه إذ كان إلى جنبها يناجيها في ليلة هادئة مقمرة

ذكرت هذا كله حين قرأت رواية « يونا انطون » لنابغة القصة العربية في لبنان كرم ملحم كرم وقلت : بأبي الحق وأمي إن جاء من أهله ! لقد كتب الأستاذ كرم روايته عن كاهن خبيث فصور لناحياته الخفية التي لا يراها الناس ، وعبر عن نزواته الصارخة واحتياله الوضيع بأسلوب رشيق أخاذ . لقد كان هذا الأب يغدو كل صباح إلى سيدة مهذبة فاضلة فيباركها ولا يكاد يقترب المساء حتى يهب في ديره إلى ارتداء قلنسوته ومسوحه فيمسح بيده طيباً ، وينطلق إلى بيت السيدة التي سبته وسامتها وخلبته براعتها ، فأصبح لها عاشقاً وامقاً ، فيبارك عليها مرة أخرى ويرمقها خلسة بعد خلسة بلحاظ لاهبة ذاهلة

كان هذا الكاهن يتابع زوراته واعظاً باسم الدين ، ذئباً في صورة إنسان ، حتى كشفت المرأة الذكية عن نيته وطويته ، فاذا هو يحمل لها في قلبه حباً أقوى من حب روميو ، ويكظم في نفسه شهوة لها أشد من شهوة كازانوفا ؛ ولكن ماذا تفعل به وهي من المحصنات ولها زوج كريم؟ فصدته عن السوء ، وكفته عما أخذ بأطرافه من مراودة عن نفسها ، فلم يستعصم ، وما يئس . وحين لم تستطع على جماحه كبحاً ، أمرت الخادم أن لا تفتح الباب للكاهن . فلما أحس مقتها ونفورها ، فار الدم في عروقه من الغيظ وثارت في صدره وساوس الحقد والثأر ، فآلى على نفسه أن يهدر سعادة المرأة الشريفة ويذيقها العذاب الأليم ، فنصب لزوجها شراك الشر وشباك الضلال ، بتسخير امرأة خليعة ماجنة تغريه بالمعصية وتغويه بالفجور ، وقد ترضاها الكاهن بشفاعته وغفرانه فأذعنت له وصرفت الزوج عن امرأته وبيته ، ثم عاود الكاهن زوراته لعل المحبوبة الأنوف تخفف من غلوائها وتفيء إلى حبه ، فتبرمت به وهدمت بعفافها زهادته الكاذبة وتبتله الموهوم

هذا طرف من سياق الرواية الطريفة « يونا انطون » وهي رواية حافلة بالتحليل العميق والوصف الدقيق ، وقد فاضت بالحياة الصاخبة ونضحت بالصراحة العارية . كل سطر فيها كالعرق النابض ، وكل قارئ لها كالطبيب الحاذق يستطيع أن يعرف حالة كل عرق فيصف دواء الأخلاق المريضة

لما نشر الأستاذ كرم ملحم كرم روايته في بيروت قامت عليه قيامة رجل من رجال الكنيسة فأقام الدعوى على الأديب القصصي ، وادعى فيها أنه هو المقصود بالأب انطون ، وأخذ يؤلب الحكام عليه ويسخر بعض الموتورين لذمه وتسفيه روايته واستهجان ما فيها ، فذكرني مرة ثانية بما كان من أمر القصصيين الغربيين وكيف أقام عليهم الدعاوى أناس ظنوا أنهم هم المقصودون في القصص ، ثم خرج كتابها أبرياء ، ونفضوا عن أكتافهم غبار الاعداء ، فطاح به الريح وأذراه في هبوبه وذاب رغاؤهم وزبدهم ، وبقي القصاص وضاح الجبين مرهف القلم رفيع الهدف ، لأنه هو الذي ينفع الناس ، وهكذا خرج الاستاذ كرم ظافراً مغبراً في وجوه حساده وأعدائه ، وبقيت روايته حية خالدة

إن القصة العربية آخذة في السمو والاشراق ، ولا يمضي عليها ردح من الزمن حتى تسابق القصة الغربية وتماثلها قيمة ومقاماً ؛ فالاقلام تمارسها بقوة ورغبة ، والقراء يتقبلونها بشوق ولذة . ولا بدع إذا نهضت القصة والرواية في لبنان فان الاستاذ كرماً مهد السبيل لهذا الفن العريق وفتح فيه عهداً جديداً . وها إن المطبعة العربية في لبنان تزجي الينا القصة أثر القصة ، والرواية تلو الروايه ، وقلم الاستاذ كرم لا ينقطع عن قرطاسه فما تقع عيناه على أحداث الحياة في لبنان وما جاوره من بلاد العرب حتى يستوحي جوها ويستنطق بيئتها ، فيسبر غورها ، ويبادر إلى تصويرها بما فيها من قلق واضطراب ونقص وإخفاق . وان له من ثقافته الادبية وتضلعه من اللغة العربية وفطرته في القصة معيناً لا ينضب . ومصداق القول قصصه العديدة الرائعة ورواياته ، وآخرها « يونا انطون » التي كتبها على ضوء الفن والواقع والجرأة وخلع عليها أسلوبه الحر الصقيل ، فنزهها عن مزالق اللهجة الصحافية والكلام الدخيل .

وداد سكاكيني